منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (3525) السنة الثالثة عشرة - الأربعاء (16) كانون الأول 2015

WWW. almadasupplements.com

سفيتلانا ألكسيفيتش

سفيتلانا ألكسيفيتش.. ونوبل للمرأة من جديد

ترجمة: عبدالخالق علي

فازت الكاتبة و الصحفية البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش بجائزة نوبل للأدب لعام ٢٠١٥. بعد إعلانها عن الجائزة في ستوكهولم، قالت رئيسة الأكاديمية السويدية سارا دانيوس إن الرواية تمثل"نصبا تذكاريا للشجاعة والمعاناة في عصرنا". من جانبها قالت سفيتلانا عن الجائزة – البالغة ٨ ملايين كرون (٦٩١ ألف باون) – بأنها"فرحة شخصية رائعة". تعتبر سفيتلانا أول صحفية تفوز بالجائزة، و قالت في مؤتمر صحفي عقد الخميس في مكتب صحيفة محلية في مينسك – بيلاروسيا"الجائزة ليست لي وحدي، و إنما هي جائزة لكل ثقافتنا و لبلدنا الصغير".

العيش في المنفى

تتضمن أفضل أعمال سفيتلانا المترجمة الى اللغة الإنكليزية (أصوات من تشيرنوبل) و هي تاريخ روائي للكارثة النووية عام ١٩٨٦، و (أبناء الزنك) و هي مجموعة حكايات من الحرب السوفيتية – الأفغانية حيث يشير العنوان الى أكفان الزنك التي كانت تنقل جثث القتلى الى الوطن، و قد تسبب الكتاب في تأجيج الخلاف و الغضب عندما نشر لاول مرة في روسيا حيث وصفه النقاد بانه افتراء من خيال الكاتبة و صخب هستيري من الهجمات الخبيثة. كما انتقدت سفيتلانا حكومة بلدها التي اضطهدتها لفترة من خلال التنصت على هاتفها و منعتها من الظهور في الاماكن العامة.

قضت سفيتلانا عشر سنوات في المنفى، حيث عاشت في إيطاليا، فرنسا، ألمانيا و السويد و بلدان اخرى قبل العودة الى مينسك. تقول متحدثة عن بلدها في ظل الرئيس فلاديمير بوتن"أحب عالم روسيا، لكن فقط العالم الإنساني.. لا أحب بيريا، ستالين و بوتن لأنهم تركوا روسيا تغرق".

ردود الفعل البيلاروسية والروسية على الجائزة

قال الكاتب المسرحي البيلاروسي أندريه كوريتشيف عن سفيتلانا"قائد وطني جديد يظهر في بيلاروسيا، لديها اليوم سلطة أقوى من أي سياسي و حتى من الرئيس، انها تحمل قيماً أوروبية طبيعية". و قال عنها وزير الخارجية البيلاروسي"ستذكر سفيتلانا في تاريخ تطور الأمة و المجتمع و الدولة البيلاروسية". بينما قال الصحفي الروسي ديمتري سميرنوف المؤيد للكرملين"للأسف فقد تم منحها الجائزة بسبب كرهها لروسيا". و علق الصحفي الروسي المستقل اوليغ كاشين قائلا"انها تمثل عالم روسيا بلا بوتن؛ عالم اللغة و الأدب الروسي المعارض للحكومة الروسية. لقد منحتنا جائزة نوبل قائدا روحيا".

سفيتلانا تكشف الحقائق السوفياتية الصارخة

ولدت سفيتلانا عام ١٩٤٨ في مدينة ايفانو – فرانكيسك الأوكرانية التي عرفت في ما بعد باسم ستانيسلاي، لأب بيلاروسي و أم أوكرانية. انتقلت العائلة الى بيلاروسيا بعد ان أكمل الوالد خدمته العسكرية. بعد تخرجها من الجامعة عملت سفيتلانا صحفية لعدة سنوات قبل ان تنشر كتابها الأول الموسوم (الوجه غير النسائي للحرب) عام ١٩٨٥، كان الكتاب يستند إلى مقابلات مع مئات النساء اللواتي شاركن في الحرب العالمية الثانية، و صاغ قالبا لأعمالها في المستقبل حيث انتقلت من روايات الشهود الى الأحداث الأكثر دمارا في العالم.

تصف سفيتلانا على موقعها اختيارها للصحافة قائلة"لقد اخترت مهنة تتحدث فيها أصوات البشر عن أنفسها". سبق ان فازت سفيتلانا بجائزة PEN السويدية عن كتابها"الشجاعة و الكرامة بصورة كاتب". قالت السيدة دانيوس ان سفيتلانا أمضت ما يقرب من ٤٠ سنة في دراسة شعب الاتحاد السوفياتي السابق، لكن عملها لا يتحدث فقط عن التاريخ و انما هو"عمل خالد و لمحة من الخلود". و أضافت الأكاديمية السويدية"أسلوبها غير الاعتيادي المستند إلى خليط رائع من الأصوات البشرية يعمّق فهمنا لعصر بأكمله". و قال لادبروكس ان سفيتلانا كانت أفضل كاتبة لذلك فازت بجائزة نوبل لعام ٢٠١٥، حيث تفوقت على أدباء بارزين مثل الروائي الياباني هاوروكي موراكامي و الكيني نوجي وا ثيونغو. انها المرأة الرابعة عشرة التي تفوز بجائزة نوبل للأدب عبر تاريخها. بلغ مجموع الذين فازوا بالجائزة ١١٢ ما بين ١٩٠١ و ٢٠١٥، وقد توقف منح الجائزة عدة مرات خلال الحربين العالميتين الأولى و الثانية.

عن: BBC News

الكاتبة والصحفية سفيتلانا الكسيفيتش:

في كتبي النساء يتحدثن عن جوانب من الحرب لم يتطرّق إليها الرجال

ترجمة / أحمد الزبيدي

ولدت الكاتبة سفيتلانا الكسيفيتش في الحادي والثلاثين من أيار عام ١٩٤٨. والدها بيلاروسي الجنسية وامها اوكرانية الاصل،عاشت في احدى قرى بيلاروسيا،وتركت الدراسة لتعمل مراسلة لإحدى الصحف المحلية في مدينة ناروفل البيلاروسية،بعدها انهت دراستها الجامعية في الصحافة في جامعة منسك عاصمة بيلاروسيا، وبدأت تعمل في صحف عدة ونشرت عددا من القصص القصيرة، كما غطت في كتاباتها الصحفية عدة احداث مهمة مثل كارثة مفاعل تشرنوبل النووي والحرب السوفيتية في افغانستان. في عام ٢٠٠٠ اضطرت لمغادرة بيلاروسيا نتيجة معا رضتها لسياسات دكتاتور بيلاروسيا الكسندر لوكشنكو فعاشت في باريس ثم غادرتها الى برلين ثم لتعود الى بلادها عام ٢٠١١.

وفي قرار منحها الجائزة تشير الاكاديمية السويدية الى انها منحت الجائزة للكاتبة سفيتلانا بسبب اسلوب كتابتها متعدد الاصوات ولكونه مُعلماً بارزاً للمعاناة والشجاعة في عصرنا الحالي. وقد وصفت ساره دانيوس رئيسة لجنة منح الجائزة الكاتبة بالقول:خلال الثلاثين والاربعين عاما الماضية كانت سفيتلانا مشغولة بوصف حياة الناس إبان الحقبة السوفيتية وما بعدها، ولم تكن تسرد احداثا تاريخية بل كانت تسرد تاريخا من العواطف والمشاعر، وكانت تستكشف كنه شخصية الفرد السوفيتي من خلال تناولها لأحداث مهمة مثل كارثة تشرنوبل وحرب السوفييت في افغانستان، واجرت آلاف المقابلات مع رجال ونساء واطفال كشفوا لنا عن اشياء لم نكن نعرفها من قبل. تقول الكاتبة سفيتلانا الكسيفيتش انها متأثرة باسلوب الكاتب البيلاروسي اليس ادامويفتش حيث تتعدد الاصوات التي تسرد حدثا معينا، وهو ما اطلق عليه اسم الرواية متعددة الاصوات، وعن ذلك تقول الكاتبة:كنت ابحث عن الاسلوب الادبي الذي يقربني من الحياة الحقيقية، فكنت اقابل الناس واسجل شهاداتهم، ومع الوثائق يصبح الحدث قد تم تناوله من عدد مختلف من الناس، كان هذا الاسلوب يجعلني كاتبة وصحفية وعالمة اجتماع وعالمة نفس وواعظة في ذات الوقت.

بعد مقابلات لها مع نساء سوفيتيات شهدن الحرب العالمية الثانية توصلت الكاتبة سفيتلانا الكسيفيتش الى استنتاج مفاده ان ليس هناك كلمة يمكن ان توصف بها المرأة مثل كلمة الحنان، صحيح اننا نملك كلمات اخرى مثل الاخت والزوجة والصديقة، ولكن الكلمة الاكثر نبلا منهن جميعا هي كلمة الام، لكن الحنان هي الكلمة الاكثر تعبيرا عن المرأة، فالمرأة هي من تهب الحياة وتحافظ عليها لذلك فالمرأة والحياة شيء واحد.

وعن الجنود السوفيت الذين قضوا في افغانستان كتبت رواياتها (اولاد من الزنك) حيث كان الجنود القتلى في افغانستان يرسلون الى اهلهم في توابيت مصنوعة من الزنك.

هذا قسم من مقابلة مع الكاتبة تحدثت فيها عن اسلوبها في الكتابة قائلة:كنت ابحث عن الاسلوب الاكثر ملاءمة للنظر وتفحص العالم، ويمكنه ان ينقل ما اسمعه بأذني وما اراه بعينيّ، وجربت اسلوبا تلو الاخر الى ان اكتشفت الاسلوب الملائم،ان اجعل الاشخاص الحقيقيين يسردون الاحداث بانفسهم. وكان يتم سرد الاحداث باصوات متعددة، تحدثت في كتبي عن انهيار الامبراطورية السوفيتية وحرب افغانستان وكارثة تشرنوبل، فكانوا يسجلون تاريخ بلدهم وتاريخهم الشخصي سوية، وكانت الكتب تحوي الوثائق المتعلقة بتلك الفترة، ففي عالمنا اليوم، العالم المعقد ومتعدد الأوجه تجعلنا الوثيقة وشهادات الناس اكثر قربا من الواقع. وبعد عشرين عاما من العمل في مواد وثائقية وكتابة خمسة كتب استنادا الى تلك الوثائق استطيع القول ان الفن الادبي لا يمكنه ان يجعلنا نفهم اشياء كثيرة عن الناس دون الاستعانة بالوثائق التاريخية للفترة الزمنية التي يتناولها، انا لا اسجل تاريخا مجردا من الاحداث، انا اسجل تاريخا للمشاعر والعواطف، ماذا يفكر الناس ماذا يفهمون منها وماذا يتذكرون، ما الذي يثقون به وما الذي يشكون فيه، ما هي الاوهام التي عاشوها والآمال التي تمنوها، والمخاوف التي خبروها، هذا من المستحيل اختراعه او تخيله. نحن ننسى بسرعة ما كنا نحبه قبل عشرين او خمسين سنة، واحيانا نخجل من ماضينا ونرفض ان نصدق ما حدث لنا في الحياة الحقيقية، يمكن للفن الادبي ان يكذب ولكن الوثيقة لا تستطيع ذلك على الرغم من ان الوثيقة قد تعبر عن ارادة شخص ما او مشاعره.كان كل كتاب من كتبي يستغرق ما بين ثلاث الى اربع سنوات لانتهاء من كتابته، وكنت اقابل ما بين ٥٠٠الى٧٠٠ شخص في كل كتاب واسجل شهاداتهم، فكان عليهن اخفاء آثار جروح الحروب والقتال في الجبهة حتى يصبحن مؤهلات للزواج.

ماذا كان كتابك الأول؟

كان كتابي الاول هو (وجه غير نسائي للحرب)، لقد شاركت اكثر من مليون امرأة سوفيتية في الحرب العالمية الثانية وكنّ في جبهات القتال بشكل فعلي وكانت اعمارهن تتراوح بين ١٥ الى٣٠ عاما،وشاركن في الاعمال القتالية كجنديات وطيارات وقناصات وسائقات للدبابات والعديد من الاصناف القتالية، فلم يكنّ ممرضات وطبيبات فقط كما هو الحال في الحروب السابقة، ومع ذلك فبعد الانتصار في الحرب تناسى الرجال دورهن، لقد سرق الرجال النصر من النساء.

في كتبي كانت النساء يتحدثن عن تلك الجوانب من الحرب والتي لم يكن يذكرها او يتطرق اليها الرجال، كان الرجال يتحدثون عن اعمالهم البطولية وكانت النساء يتحدثن عن شيء اخر،على سبيل المثال كم كان مخيفا السير في حقل مليء بالجثث المنتشرة مثل حبات البطاطا، وكانت جميعها لشبان صغار السن، وكنت تشعر بالأسى عليهم سواء أكانوا من الجيش السوفيتي او الالماني. بعد الحرب كان على الناس ان يخضن حربا اخرى، فكان عليهن اخفاء آثار جروح الحروب والقتال في الجبهة حتى يصبحن مؤهلات للزواج.

ماذا كان كتابك الثاني؟

كان بعنوان (الشاهد الاخير) وهو شهادات عن الحرب من خلال عيون اطفال بريئة كانت اعمارهم ما بين السابعة والثالثة عشرة.

قال ديستويفسكي ذات مرة"لا شيء يستحق القيمة اذا تم الحصول عليه على حساب دمعة من طفل صغير."

وكتابك الثالث؟

كان عن الحرب في افغانستان بعنوان (اولاد الزنك).كان الجنود الموتى يرسلون الى اهلهم في توابيت مصنوعة من الزنك،ويتضمن الكتاب قصصا عن اكثر من مئة ضابط وجندي سوفيتي اشتركوا لعشر سنوات في تلك الحرب غير المفهومة، وعن امهات وارامل ضحايا تلك الحرب،عن صراع قاس ويائس بين العالمين الشرقي والغربي، اي نوع من الحروب كانت وكيف كان يفكر الناس حينها؟ وكيف كان يقتل احدهم الاخر؟ كيف كانوا يستقتلون بيأس من اجل البقاء على قيد الحياة؟

كان كل شيء مختلفا، الوقت يمر بشكل مختلف، حتى روزنامة الايام نفسها كانت مختلفة، كانت كأنها مئتا عام، وهذا الوصف سمعته مرارا وتكرارا، من كثير من الذين سردوا قصصهم، انت تقرأ الكتاب كما لو انه كتب الان وليس في الماضي، كما لو انه كتب لنا نحن الذين واجهنا مأساة الحادي عشر من ايلول، عندما تغير العالم جذريا في يوم واحد، وعاد الى الوراء بدلا من ان يتقدم الى الامام، عاد الى السلاح بدلا من تركه.

تقول احدى شخصيات الكتاب في نهايته"اولئك الذين كانوا لا يريدون ان يقاتلوا مرة اخرى:علينا ان نحارب ونقتل الافكار وليس الناس،اقتلوا الافكار التي تجعل عالمنا قاسيا هكذا،مخيف هكذا،عالما يجعل الناس يعيشون كل بعيد عن الاخر ووحيدا."هذا هو رأي انسان في وقتنا الحاضر".

ماذا عن كتابك عن تشرنوبل؟

بعد كارثة تشرنوبل اصبحنا نعيش في عالم مختلف،وفي الحقيقة حدثت كارثتان الأولى طبيعية والثانية اجتماعية حين انهارت اسس النظام الاشتراكي، والكارثة الثانية القت بظلالها على الاولى، لقد تغير كل شيء فينا جراء كارثة تشرنوبل: شفراتنا الوراثية وحتى مناظرنا الطبيعية الجميلة اختفت، كلماتنا ومشاعرنا وما حدث هو اسوأ من مذابح الهولوكوست او ايام حكم ستالين.

لقد تغيرت علاقتنا مع الزمن وسوف يأتي جيل جديد ويتساءل كيف حدث كل ذلك، اي نوع من البشر كانوا يعيشون انذاك، ماذا كانوا يشعرون ويفكرون، ما علاقتهم بكل ما حدث، الاحداث المتعلقة بشخص واحد تصنع حياته، ولكن الاحداث المتعلقة بعدة اشخاص تصنع التاريخ، سيذكر تشرنوبل بانه لغز القرن الحادي والعشرين وتحديه ايضا.

إن تأمل تجربة الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش الحائزة على جائزة نوبل للآداب لهذا العام، هو تأمل لتاريخ من المشاعر الإنسانية، وذلك بالمعنى الدقيق للكلمة، فهي تصنف بأنها الكاتبة الوحيدة في تاريخ الاتحاد السوفييتي السابق، التي عكست الصراعات البشرية مع هوية تميز ندوب اشتراكية الدولة، وذلك الخراب الوجودي، الذي أحدثته جملة من الحروب والتدخلات والكوارث، في تاريخ يمتد لأكثر من مئة عام، مع تركيز على فواجع الحرب العالمية الثانية، غير أنه من جهة سفيتلانا، هو تاريخ من القهر والظلم اللذين استطاعت سفيتلانا توثيقهما على غير ما اعتادت الوثائق الرسمية ومستندات الأرشيف أن تكتبه، هو بالضبط موثق من قبل الناس أنفسهم، من قبل الرجال الذين عايشوا الحرب، وعلى وجه الخصوص النساء، اللواتي يحصين بالآلاف، تماماً كما جاء في روايتها الأولى «وجه غير أنثوي للحرب"وأيضاً «أصوات من تشرنوبل"في إشارة إلى حادثة تشرنوبل الشهيرة، التي كان لها تأثير كبير في عملها.

رفضت العيش في أجواء الرعب

سفيتلانا ألكسيفيتش.. صوت شجاع معارض للاستبداد

عثمان حسن

إن تأمل تجربة الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش الحائزة على جائزة نوبل للآداب لهذا العام، هو تأمل لتاريخ من المشاعر الإنسانية، وذلك بالمعنى الدقيق للكلمة، فهي تصنف بأنها الكاتبة الوحيدة في تاريخ الاتحاد السوفييتي السابق، التي عكست الصراعات البشرية مع هوية تميز ندوب اشتراكية الدولة، وذلك الخراب الوجودي، الذي أحدثته جملة من الحروب والتدخلات والكوارث، في تاريخ يمتد لأكثر من مئة عام، مع تركيز على فواجع الحرب العالمية الثانية، غير أنه من جهة سفيتلانا، هو تاريخ من القهر والظلم الذي استطاعت سفيتلانا توثيقه على غير ما اعتادت الوثائق الرسمية ومستندات الأرشيف أن تكتبه، هو بالضبط موثق من قبل الناس أنفسهم، من قبل الرجال الذين عايشوا الحرب، وعلى وجه الخصوص النساء، اللواتي يحصين بالآلاف، تماماً كما جاء في روايتها الأولى «وجه غير أنثوي للحرب"وأيضاً «أصوات من تشرنوبل"في إشارة إلى حادثة تشرنوبل الشهيرة، والتي كان لها تأثير كبير في عملها.

تعرف حائزة نوبل الكاتبة سفيتلانا ألكسيفيتش نفسها بكلمات قليلة حيث تقول «هكذا أسمع وأرى العالم، مثل جوقة من الأصوات الفردية، ومثل ملصق يومي من التفاصيل، هذه دالة عيني وأذني، بهذه الطريقة فإن جميع ملكاتي العقلية والعاطفية تمتلئ بكامل طاقتها، وبهذه الطريقة أيضاً، استطعت أن أجمع بين كوني كاتبة، وعالمة اجتماع، ومحللة نفسية وخطيبة كذلك».

ولعل من أبرز ما صدر عن هذه الكاتبة من كلمات، وتم توثيقه في كثير من الصحف العالمية خلال السنوات العشر الماضية، ما يؤكد إصرارها على كتابة ذلك التاريخ المظلم في الحقبة السوفييتية، فقد نشرت دير شبيغل الألمانية مقتطفات مما كتبته سفيتلانا كقولها مثلاً «لدينا أفكارنا الخاصة حول الخير والشر، عن الأبطال والضحايا، الكراهية والتحيز، لقد جئنا جميعاً من المكان الذي كان مرة مكاناً قاسياً، يشبه معسكرات، لقد كانت الاشتراكية، لكنها أيضاً، كانت حياتنا».

في كتابها «أصوات من تشرنوبل" الذي صدر في عام ٢٠٠٥، الذي يوثق لكارثة تشرنوبل في عام ١٩٨٦، والتي تحبذ سفيتلانا أن تصفها بالكارثة الكونية، فقد صنعت من الكوميديا السوداء الناتجة عن تلك الفوضى الاجتماعية كتاباً آخر هو «وجه غير أنثوي للحرب" ١٩٨٥ يوثق دور المجندات الروسيات اللواتي شاركن في الحرب العالمية الثانية، حيث كتبت في مقدمته «إن أفضل كل ما نعرفه عن النساء هو ذلك الوصف مجسداً بكلمة الرحمة، غير أن هناك أوصافاً أخرى، الأخت، الصديقة، الزوجة، وأنبل من ذلك الأم، لكن أليست الرحمة هي جزء من كل هذه المفاهيم، والغرض منها في نهاية المطاف أن المرأة هي واهبة الحياة، وهي الحارسة الأمينة لتلك الحياة، لذا فإن المرأة والحياة كلمتان مترادفتان».

في توصيف كتابة سفيتلانا ألكسيفيتش، يرد بأنها سارة التاريخ الشفاهي، لمجموعة من الجنود والنساء الذين استثمرت تجاربهم الواقعية، في نموذج أدبي رصين، تلك القصص والمآسي التي غالباً ما استخدمت الاتحاد السوفييتي السابق كخلفية لها، وهو النظام الذي وصفته في مكان آخر بأنه كان عبارة عن قبر جماعي كبير.

انتقادها للحكومة البيلاروسية في زمن ألكسندر لوكاشينكو أدى إلى اضطهادها مدة زمنية ليست بالقصيرة، مارست عليها أجهزة الحكومة في حينه مراقبة مشددة، طالت هاتفها الشخصي، كما منعتها من الظهور العلني، وهو الذي أدى بها إلى مغادرة بيلاروسيا طوال عشر سنوات في مدن أوروبية عديدة، رافضة العيش مع الرعب.

وبمنحها جائزة نوبل للآداب، تغمز الأكاديمية السويدية إلى أجواء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وإذا كانت المأساة التي صورتها في كتبها، قد انتهت من حيث زمن وقوعها، فإن ثمة ما يشير إلى المعاناة المستمرة، التي يدفع ثمنها الشعب الروسي، حين تغامر روسيا باحتلال أراضي أوكرانيا، كما تتقدم خطوة إلى سوريا في صراع عالمي مكشوف، رأت الأكاديمية أنه الوقت المناسب لمنحها هذه الجائزة، في صورة موازية لنهب أراضي الغير، وهو الذي نبهت إليه في كتاباتها السابقة على صورة وعي يحفز الشباب على المعرفة، من هنا، يمكن معرفة المنظور الإنساني لكتاباتها، أو خاصة وهي تصور ندوب اشتراكية الدولة وخرابها الوجودي، وهذا الشكل من العبث في صورة من صور الصراع البشري المخيف.

انتقدت بيلاروسيا سياسة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حيث كتبت في صحيفة اللوموند الفرنسية في عام ٢٠١٤ أنه يجرجر روسيا للغرق في ماضيها، مؤكدة أنه اختار الحرب بدلاً من السلام، واختار الماضي بدلاً من المستقبل.

في كتابها «أبناء الزنك» ١٩٩٢ ثمة تسجيل لجيل ضائع من الشباب الروسي، في إشارة إلى الحرب الروسية في أفغانستان، جاء اسم هذا العمل من تلك الأكفان المصنوعة من الزنك التي كانت تحتضن جثث الشباب العائدين إلى وطنهم من أرض الصراع، في صورة مأساوية أخرى وحديثة تعكس استبداد النظام السياسي.

عن جريدة الاهرام المصرية

سفيتلانا ألكسيفيتش..الأدب بين الواقع والمُتخيَّل والواقعي المُتخيَّل

حازم سعد

سنة ١٨٥٧ أُصدرَت رواية مدام بوفاري، ووُصفَت حينها بأنها أول عمل روائي "واقعي"، خالٍ من الغرائبيات، وكل ما هو خارق أو مخالَف للطبيعي، لكن رغم اختلاف الناس على أن عمل جوستاف فلوبير هو أول عمل روائي واقعي "رومنطقي"، إلا أنهم متفقين معنا أنه -وما حذا حذوه- ليس توثيقيًا أو مبنٍ على أحداث حقيقية، وبعيد عن درب السيِّر، والاستقصاء الصحفي للوقائع.

سنة ٢٠١٥ تُمنَح سفيتلانا ألكسيفيتش جائزة نوبل للأدب "عن كتاباتها متعددة الأصوات التي جسدت المعاناة والشجاعة في عصرنا".

سفيتلانا تقوم بتوثيق الحدث مع من عاصروه "مثل حادث تشيرنوبل أكبر كارثة نووية شهدها العالم" دون تدخل صوت الكاتب المبدع من تحويل لمسار الحكي، أو حبك المفرَّد من موضوعات على لسان من تحاورهم.

واكب فوز أليكسيفيتش ثورة عارمة من الكُتاب مفادها أن ما قامت به من تحقيقات ومراسلة صحفية وتوثيقات ليس "أدب".

باعتبار أن الأديب -وسارد القصص والحاكي والقاص والراوي- يُقاس درجة اتقانه لحرفة الحكي بمدى إعماله للخيال، حتى حين يحكي بواقعية، أو عن شيء من الواقع، فلابد أن يبني عالمًا مشابهًا للآخر الحقيقي. يبني واحدًا منقحًا، ليس فيه وصفًا لشيء ليس له علاقة بمضمون روايته. يبني شخصيات يساعدونه في إخفاء عظام أفكاره، ويضمرونها تمامًا ليهضمها القارئ دون أن يراها.

الحكَّاء الفذّ عندما يريد أن ينفِّر القراء -أو المستمعين- من الحروب وعواقبها "مثلا"، يسلك واحد من طريقين لا ثالث لهما:

-أولا أن يبني عالما من الخيال، ثم يقسمه شطرين، ويخلق نزاعًا بين قوم شطر، وأقرانهم في الشطر الآخر، ثم يضيِّق العدسة لحقل زهور يفصل الشطرين. تقوم الحرب فوق هذا الحقل، وما به من زهور، ومخلوقات. من بينهم مجموعة من النمل بنوا بيتًا للبيات الشتوي، وأرهقهم جمع مؤونة الشتاء فيه، وهمُّوا يغلقوه دونهم. حتى قامت الحرب فدهست بيتهم، وقتلت أغلبهم، وذهبت بتعب الشهور هباءً، ولا ضرر من أن يكون بين الضحايا نملة، وبين الناجين حبيبها، ويستفيض في وصف اللقاء الأول بينهما، وأول الحب، ومشكلة ثانوية تعوق ارتباطهم كأن تكون هي ابنة نملة أعلى في المرتبة الاجتماعية، أو أن يكون هو ضعيف نحيف لا يقوى على حمل حبة سكر ناعمة وحده أو..................

-ثانيا أن يستعير العالم الواقعي الكائن، والأحداث الحقيقية، ويعنوِّن فقراته بالمكان والزمان، بل وحتى أنه ممكن أن يسرد بين سطوره سياق الحرب، وتطور أحداثها الموازية لحياة أبطال عمله الروائي أو القصصي، وغالبا ما تكون أبطاله- أو شخصياته على وجه أعم- من وحي الخيال مثل رائعة فيكتور هوجو "البؤساء" نراه استعار العالم الحقيقي، وأحداث حقبة زمنية معينة حيث يصف وينتقد الظلم الاجتماعي في فرنسا "بين سقوط نابليون في ١٨١٥ والثورة الفاشلة ضد الملك لويس فيليب في ١٨٣٢" من خلال شخصيات اختلقها من وحي خياله، تعبر عن ذلك وتمر بظروف حياتية تبرزه وتفضحه.

أما ما تقوم به سفيتلانا فهو محض تقرير للواقع دون إضمار أو مواراة أدبية، وهو شيء سهل، لكنه فج، وفي رأيي الشخصي المتواضع هو متماش مع ما نعاني من تبلد، وانعدام التأثر بكلّ ما يحدث حولَنا من مذابح، ومجازر، وفتَن، وحُكم على الآخَر المختلف وعدم قبولَه، وجشع ورأسمالية طاحنة للفقراء و..............قل ما بدا لك من خراء يؤطر الصورة البشعة للحياة.

سفيتلانا امرأة شجاعة شأنها شان كل الصحفيات الميدانيات اللاتي تعانين بدنيا، وذهنيا في سبيل البحث عن معلومة لا لتبني عليها شيء متخيل جميل الصنع، بل لتوردها على لسان صاحبها في سياقٍ التحدث عما عاناه من سياسة بلاده مثلا، أو عدم حكمة رؤسائه، وفي بعض الأحيان غباؤهم.

اتفقنا أو لم نتفق على منتج ألكسيفيتش سواء أكان صحافة، أو أدب، أو استطلاع رأي، أو أيا ما كان. يبقى اختلافنا على المسمى، والبعض بل أغلب الكُتاب يضايقه ما يُكتب على صدر عمله الأدبي "رواية، مجموعة قصصية، متوالية قصصية، تمارين كتابة، شعر عامية، شعر،...... ...."ويرى أن في ذلك تعسفًا من دور النشر، وجل ما يريده منهم هو أن يكتبوا عنوان العمل، واسمه، واسم الدار من باب العرفان.

أما في المحتوى والجوهر فقطعًا يلتقي ما تقوم به صاحبة نوبل بكل ألوان الأدب من حيث آليات التعديل، والقص، والتقديم والتأخير، ونقطة النور، والاستراحات السردية، ووصف انفعالات من تحاورهم: بكاؤهم، وضحكاتهم، وشرودهم، وعلوٍ صوتهم، والتفاتاتهم نحو باب المنزل مثلا بينما يتحدثون عن الغائب.

أما في المحتوى والجوهر فقطعًا يلتف كل الكُتاب -سواء أدركوا ذلك وقصدوه أو كان تلقائيًا- حول الحث على القيِّم، والفضائل، وينفِّروا من الرذائل، وكل ما هو ضد الإنسانية، والأخلاقيات. سواء كان ذلك عن طريق قوالب الحكي المختلفة المتباينة، أو عن طريق بلورة المأساة على لسان من عانوا منها واختبروها.

عن موقع الحوار المتمدن

مقطع من كتابها "أصوات من تشيرنوبل":

مونولوج الأكاذيب والحقائق

أحمد صلاح الدين

ولدت الكاتبة سفيتلانا أليكسيفيتش عام ١٩٤٨ في المدينة الأوكرانية إيفانوفراكفيسك، لأم أوكرانية وأب بيلاروسي. انتقلت العائلة للعيش في بيلاروسيا بعد أن أنهي والدها الخدمة العسكرية، عملها الأول وجه الحرب غير الأنثوي"واحد من مجموعة كتب لسفيتلانا حملت اسم"أصوات اليوتوبيا"، التي قامت فيها برسم صورة للاتحاد السوفيتي من وجهة نظر الفرد. ثم طبقت طريقتها التاريخية الثورية، وهي عبارة عن كولاج لمجموعة من الأصوات البشرية، خاصة بكارثة تشيرنوبل"أصوات تشيرنوبل"التي صدرت عام ١٩٩٧، ثم الحرب السوفيتية علي أفغانستان في كتابها"صبية الزنك"، الذس صدر عام ١٩٩٠. قضت الكاتبة، التي قدمت انتقادات للاتحاد السوفيتي، ثم النظام البيلاروسي بعد ذلك، جزءا من حياتها في الخارج، من إيطاليا لفرنسا، ومن ألمانيا للسويد.

قال ديميتري بيكوف، الكاتب والصحفي الروسي الشهير، أن سفيتلانا أليكسيفيتش هي التلميذة النجيبة للعظيمة البيلاروسية أليسيا أدامويفيتش. وكما نعرف أليسيا أدامويفيتش، فإنها نذرت حياتها لتناول تراجيديا القرن العشرين في كتاباتها، وهو ما يشير إلي مأساة جرح مشاعر البشر. وتشير أدامويفيتش إلي أن هناك نقص واضح في الأدب في مسألة تناول الكوارث، الحروب، والمآسي الشخصية. وهكذا تفكر سفيتلانا أليسيفيتش. ويعتبر ديميترس بيكوف أن فوز سفيتلانا بالجائزة يشير إلي اهتمام لجنة التحكيم الأساسي بالبعد والأهمية الاجتماعية للنص، قبل التركيز علي قيمته الفنية. ويري بيكوف أن سفيتلانا تمتلك مهارة ومقدرة عالية في توظيف لغة الكتابة الصحفية. و أنها، كما يؤكد ديميتري، تستخدم تقنية سردية جديدة، وهو ما لاحظته لجنة التحكيم، فلجنة التحكيم رأت فيها تجسيدا لابتكارات جديدة في عالم الكتابة. كما أنها، والكلام لا زال لبيكوف، تعتبر الكاتبة السوفيتية الرابعة التي تفوز بجائزة نوبل للآداب. يقول بيكوف: "بالطبع بيلاروسيا دولة مستقلة... لكن تكوين سفيتلانا ككاتبة ونيلها الشهرة كان في زمن الاتحاد السوفيتي، لذا يمكننا القول أنها تنتمي إليه."فقد فاز بجايزة نوبل من الروس باريس باسترناك، ميخائيل شولوخوف، الكسندر سوجينتسين، يوسف بردوسكي.

وقد ذكرت سفيتلانا في احدي المقابلات: "أرسم صورة لبلدي وأهلي في زمن عشته. رغبت في رؤية أعمالي كسجل، موسوعة للأجيال التي أنا منها وبصحبتها أسير. كيف عاشوا؟ بم آمنوا؟ كيف قتلوا، وكيف قتلوهم؟ كيف أرادوا أن يكونوا سعداء، ولماذا فشلوا في تحقيق السعادة." كما قالت أيضا: "يتحدث في كتبي أناس حقيقيون عن الأحداث الهامة مثل الحرب، كارثة تشيرنوبل، وسقوط امبراطورية عظيمة." وأنها"لا تكتب تاريخا جافا من الأحداث والحقائق، إنما أكتب تاريخا من المشاعر الإنسانية، ونقدم مقطعا من كتابها «أصوات من تشيرنوبل»

كتبوا عشرات من الكتب. إصدارت سمينة مصحوبة بتعليقات. لكن يظل الحدث دون أي وصف فلسفي. قال لي أحد الأشخاص، أو ربما قرأت ذلك، أن مشكلة تشيرنوبل تبدو كاشكالية لفهم الذات. يبدو هذا صحيحا. أظل أنتظر أحد الأذكياء ليقوم بتفسير ذلك لي. الطريقة التي أخبروني بها عن ستالين، لينين، والبلاشفة، أو الطريقة التي ظلوا يها يطرقون علي عبارتهم"السوق! السوق! السوق الحر!"لكننا نحن الذين كبرنا في عالم دون تشيرنوبل، لازلنا نعيش في ظل تشيرنوبل.

مهنتي حقيقة تتعلق بالصواريخ، فأنا متخصص في وقود الصواريخ. أخدم في مركز إطلاق الصواريخ في بايكونر. أخذت برامج مثل كوزموس، انترکوزموس جزءا كبيرا من حياتي. كان زمنا اعجازيا! تمنح الناس السماء، القطب الشمالي، كل شيء! تمنحهم الفضاء! ذهب كل فرد من أفراد الاتحاد السوفيتي إلي الفضاء بصحبة يوري جاجارين، انفصلوا عن كوكب الأرض معه. كلنا فعلنا! لازلت واقعا في حبه كان رجلا روسيا رائعا، يملك هذه الابتسامة البديعة. حتي أن موته بدا كأنه خضع للإعداد الجيد.

كان زمنا اعجازيا! انتقلت لبيلاروسيا لأسباب عائلية، انهيت مهنتي هناك. عندما وصلت، اندمجت في عالم فضاء تشيرنوبل، وكان هذا تقويما لإحساسي بالأشياء. كان من المستحيل أن تتخيل أي شيء مثل هذا، رغم أنني تعاملت دوما مع أحدث أنواع التكنولوجيا، تكنولوجيا الفضاء الخارجي. من الصعب علي أن أشرح أمر لا يناسب الخيال فعلا. منذ لحظة مرت، تصورت أني أمسكت بها، فقط منذ لحظة وهذا يدفعني للتفلسف. لا يهم مع من تتحدث عن تشيرنوبل، الجميع يريد أن يتفلسف. لكني أود أن أخبرك بم يتعلق بعملي. ما الذي لا نفعله! نبني كنيسة كنيسة تشيرنوبل، تكريما علي شرف أيقونة أم الرب، نكرسها لل"عقاب". نجمع التبرعات؛ نزور المرضي ومن هم علي وشك الموت. نكتب التاريخ. ننشيء متحفا. اعتدت علي الاعتقاد أنه في الحالة التي عليها قلبي، لن يكون في استطاعتي أن أعمل في هذه الوظيفة، كانت تعليماتي الأولي: "هاك المال، قسمه بين خمسة وثلاثون عائلة، أي بين خمسة وثلاثون أرملة. "كل الرجال صاروا مسئولي تصفية/تفليس. لذا عليك أن تكون عادلا. لكن كيف؟ لدي احدي الأرامل ابنة مريضة، أخري لديها طفلان، وثالثة مريضة، تدفع ايجار شقة، ورابعة لديها أطفال أربعة. أستيقظ ليلا وأنا أفكر: "لماذا لا أخدع أحدا؟" فكرت وحسبت، حسبت وفكرت. لكني لم استطع أن أفعلها. لقد انتهي بنا الأمر أن نوزع المال بعدل، وفق القائمة.

إبني الحقيقي هو المتحف: متحف تشيرنوبل. إنه صامت. أحيانا كنت أظن أنه سيكون لدينا صالة للعزاء، وليس متحفا. أعمل في لجنة الجنازات. لم انزع معطفي هذا الصباح عندما جاءتني امرأة باكية، ليست باكية لكنها تصرخ: "خذ ميدالياته وشهاداته! خذ كل شيء! أريد زوجي!" ظلت تصرخ هكذا لوقت طويل. ثم تركت ميدالياته وشهاداته. حسنا، سيتم وضعها جميعا في المتحف، للعرض. يمكن أن يشاهدها الناس. لكن بكائها، لم يسمع بكائها أحد غيري، وعندما أضع هذه الشهادات في المتحف للعرض، سأظل أذكر البكاء.

الكولونيل ياروشوك علي فراش الموت الآن. كيميائي ومحدد للمعدلات. كان يتمتع بصحة كثور، الآن يرقد مرتعشا. تقابله زوجته كوسادة. تطعمه بملعقة. عنده حصوات علي الكلي، يجب تفتيتها، لكن لا نملك المال لمثل هذه العمليات الآن. إننا فقراء، نحيا علي ما يعطيه الناس لنا. وتتصرف الحكومة كمقرض للمال، فقد نست هؤلاء الناس. عندما يموت، سيطلقون اسمه علي الشارع، المدرسة، أو علي وحدة عسكرية، لكن هذا فقط ما يحدث عقب موته. كولونيل ياروشوك. تمشي في المنطقة. وحدد نقاط الإشعاع الأقصي استغلوه بكل ما تحمل الكلمة من معني، وكأنه انسان آلي. وقد فهم هذا، لكنه ذهب، وخرج من المفاعل نفسه علي قدميه إلي الخارج حيث القطاعات التي يغطيها المجال الإشعاعي. علي قدميه، حاملا جهاز قياس المعدلات في يديه. عندما يحدد نقطة اشعاع، يدور حولها، حتي يمكنه تحديد مكانها علي الخريطة بدقة.

ماذا عن الجنود العاملين علي سطح المفاعل؟ تم اسقاط حوالي مائتي وعشرة وحدة عسكرية وقت وقوع الكارثة، بما يعادل ٣٤٠ ألف شخص. أكثر من عانى المجموعة المسئولة عن تنظيف السطح. ورغم ارتدائهم للجوانت الواقية، إلا أن الإشعاع كان يصعد من أسفل، ولم تتوفر لهم الوقاية المناسبة. كانوا يرتدون أحذية جلدية رخيصة. كانوا يقضون فترة منن دقيقة ونصف إلي دقيقتين علي السطح يوميا، ثم يتم عزلهم، مع الحصول علي شهادة ومكافأة قدرها مائة روبل. ثم يختفون في أطراف بلدنا الواسعة. علي السطح، كانوا يجمعون الوقود والرصاص من المفاعل، مع قطع الأسمنت والمعادن. يستغرق امتلاء عربة يد من عشرين إلي ثلاثين ثانية، ثم ثلاثون ثانية للتخلص من"النفايات"وإلقاؤها من علي السطح. هذه العربات الخاصة وحدها تزن أربعين كيلوجراما. لك إذن أن تتصور: واقي رصاصي، أقنعة، عربات يد، وسرعة جنونية

صوت المنسيين

ليست سفيتلانا ألكسيفيتش مجهولة في ألمانيا علي الإطلاق، فلها خمسة أعمال مترجمة إلى الألمانية في دار نشر مشهورة هي"دار هانزر"، كما حازت ألكسيفيتش علي جوائز عدة في ألمانيا.

سمير جريس ـ برلين

استطاعت ألكسيفيتش عبر مزج الحوارات الصحفية التي أجرتها مع الضحايا ومَن لا صوت له، أن تجد صوتها الأدبي المميز. ويمكن القول إنها تكتب"كولاجا روائيا"أو الرواية التوثيقية المكونة من أصوات متداخله. استخدمت الكاتبة هذه الطريقة لأول مرة في عام ١٩٨٣ في كتابها"ليس للحرب وجه أنثوي"، حيث وثقت عبر حوارات صحفية مصير الجنديات من الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية. وعندما كتبت"أطفال الزنك ذ أفغانستان والعواقب"(١٩٨٩) تحدثت مع أكثر من خمسمائة من قدامى المحاربين خلال الدخول السوفييتي لأفغانستان، كما تحدثت مع أمهات الجنود الذين لاقوا مصرعهم. ومن أعمالها الأخري التي ترجمت إلي الألمانية: "تشيرنوبل. تاريخ المستقبل"(١٩٩٧)، وكتاب"آخر الشهود. الأطفال في الحرب العالمية الثانية". ويعتبر كتابها"زمن السكاند هاند ذ الحياة علي أنقاض الاشتراكية"(٢٠١٣) من أهم أعمالها.

رغم ذلك هناك من يتساءل:

هل يُعد ما تكتبه الكسيفيتش أدبا من الأساس؟

وبهذا السؤال أيضا بدأ أندرياس بلاتهاوس من صحيفة"فرانكفورتر ألجماينه"مقالته. ويجيب إجابة قاطعةقائلا: بالطبع نعم. ويشير بلاتهاوس إلي عملها"زمن السكاند هاند ذ الحياة علي أنقاض الاشتراكية"الذي صدر بالألمانية عام ٢٠١٣، وفيه يحكي"كورال من الأصوات"عن"الإحباطات والخيبات"التي عاشها الناس بعد"تلاشي الوهم الاجتماعي الكبير". ويضيف بلاتهاوس أن إنجاز الكاتبة يكمن في تأليف هذا الحفل الموسيقي متعدد الأصوات. ويبرز بلاتهاوس إنجاز الكاتبة قائلا إنها تمنح شهود العيان الذين تتحدث معهم صوتا مميزا، دون إقحام صوتها هي.

وتكتب ألكسيفيتش باللغة الروسية، وليس بلغة روسيا البيضاء، وهو ما يعرضها إلي انتقادات كثيرة في وطنها. وكان يوزف بروسكي (١٩٨٧) وألكسندر زولشينتسن (١٩٧٠) آخر من حصل علي جائزة نوبل من كتاب اللغة الروسية. ولذلك فإن اللجنة السويدية ترسل بفوز ألكسيفيتش رسالة سياسية واضحة عندما تمنح الجائزة لكاتبة من الاتحاد السوفييتي سابقا، وعندما تقول في حيثيات منح الجائزة إن الكاتبة"بأعمالها متعددة الأصوات قد شيدت نصبا تذكاريا للمعاناة والشجاعة في عصرنا". لكن اللجنة، يضيف بلاتهاوس، لم تشأ أن تنتقد روسيا أو روسيا البيضاء صراحة، ولذلك لم تذكر بصراحة المكان الذي عاني فيه أولئك الذين تحلوا بالشجاعة. ويشير كاتب المقال إلي رواد سبقوا ألكسيفيتش في أسلوبها الأدبي، ومنهم الكاتب الألماني فالتر كمبوفسكي.

وكانت ألكسيفيتش قد حصلت علي ثلاث جوائز كبيرة في ألمانيا، وإن كانت الجوائز التي فازت بها لها طابع سياسي في المقام الأول. الجائزة الأولي حصلت عليها في عام ١٩٩٨، وهي جائزة التفاهم الأوروبي التي يمنحها معرض لايبتسج للكتاب. آنذاك قالت ألكسيفيتش عن أسلوبها في الكتابة: "من آلاف الأصوات والحكايات التي أعايشها خلال الحياة اليومية ووجودنا البشري، من الكلمات ومما تخفيه بين السطور، أقوم بتركيب الواقع ذ كلا، ليس الواقع (لأن الواقع لا يمكن التعرف عليه)، بل أقوم بتركيب خيال أو صورة".

وفي عام ٢٠٠١ حصلت الكاتبة علي جائزة أخري هي جائزة إريش ماريا ريمارك للسلام التي تمنحها مدينة أوسنابروك (وهي الجائزة التي تُمنح هذا العام للشاعر أدونيس).

وقبل عامين فازت ألكسيفيتش بجائزة السلام المرموقة التي تمنحها رابطة تجار الكتب في ألمانيا خلال فعاليات معرض فرانكفورت للكتاب ٢٠١٣، والتي تعتبر أهم جائزة ثقافية في ألمانيا، وتبلغ قيمتها المادية ٢٥ ألف يورو. آنذاك قالت الرابطة إنها جسدت بتقاريرها عن تشرنوبيل وعن الغزو السوفييتي لأفغانستان التطلعات المحبطة لشعبها نحو الحرية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

أعمال ألكسيفيتش تُرجمت إلي أكثر من ثلاثين لغة. وهي بالطبع مجهولة تماما في المنطقة العربية.

عن الحياة اللندنية

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

سفيتلانا في وارسو: علينا الحوار بدلاً من القتل

محور هذا اللقاء مع سفيتلانا ألكسيفيتش كان الحرب في أوكرانيا، حيث حرص العديد من القراء والمتابعين المهتمين بأعمالها علي متابعة المقابلة وتوجيه عدد من الأسئلة لها تتعلق بالأزمات التي تمر بالعالم في المرحلة الحالية، خاصة الأزمة الأوكرانية.

كيف يمكن إغراق البلاد في بحار من الدم، وضم القرم على نحو إجرامي، وتدمير هذا السلام الهش في فترة ما بعد الحرب؟ ليس هناك ثمة أعذار جئت لتوي من كييف، مذهولة من الناس الذين رأيتهم هناك. إنهم يتطلعون لحياة جديدة؛ وهم علي استعداد لنيل هذه الحياة؛ سيقاتلون من أجلها. انتشار المئات من المدرعات الروسية في دونباس ليس حوارا على أية حال، تحريض الشعوب الأبوية على المواجهة يعني موت السياسي.

أحمد صلاح الدين

لا يمكن هزيمة الشعب الأوكراني

أولئك الذين يتحدثون دفاعا عن الإنفصاليين في دونباس عليهم سماع الجنود الأوكرانيين ممن أسرهم الثوار، أو بالأحري خادمي روسيا من الجنود. عليهم إدراك كيفية إنخداع هؤلاء الجنود. كيف ينقل الروس جثث القتلي؟ إنهم يدفنونهم سرا كالمجرمين. لقد رأيت فيلما وثائقيا على الانترنت، حيث تُنقل جثث الجنود والضباط الأوكرانيين في ثلاجات ضخمة في أوكرانيا، بينما يركع الناس على ركبهم على جانبي الطريق. وعندما رأيت هذا، أدركت أن هؤلاء الناس لا يمكن هزيمتهم هذه المرة.

بوتين ضابط مخابرات

ليس لبوتين علاقة بالسياسة، إنه ضابط مخابرات بالكي.جي.بيه. ما يفعله هو التحريض، الذي ينظمه الكي.جي.بيه. ليس من العسير لأي بلد أن يحدد هذه العناصر. إذا ما تم إرسال مئة دبابة روسية ومئة جندي الى روسيا البيضاء اليوم، ماذا سيحدث لبلد سالم؟ سيفضل بعض الناس الذهاب الى بولندا، بينما سيذهب آخرون الى روسيا، ومرة أخري سيفتح الباب لبحور الدم.

لماذا تصمت الأمهات الروسيات؟

أعتقد أنه من الخطأ أن نظن أن الشعب الروسي أو البيلاروسي عاجز عن الكلام. لكن ربما هم خائفون من الحديث بصوت عال يدخل دوائر الدعاية. لكن من الغريب حقا أن تعجز الأمهات الروسيات، ممن مات أولادهم في أوكرانيا، عن الحديث للصحفيين. سألت إحداهن: "لماذا أنت صامتة؟ لقد قتل ولدك؟"، كانت إجابتها: "إذا تكلمت، لن أحصل على مليون روبل، وأنا أريد شراء شقة لابنتي بهذا المال." وبينما كنت أؤلف كتابا عن أفغانستان "صبية الزنك"، كان الناس شرفاء، بينما الأمهات تصرخ وتولول. لا يمكن وصف هذه بالخوف الخالص. إنه نوع من الخليط المعقد، فإن الناس يشعرون بالإحباط في العشرين عاما التي مرت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. كانت "الصفوة" تسعي الى الإصلاح، لكن الشعب ظل صامتا. لكن الأمر اختلف الآن، فعندما شرع بوتين في التحدث بلغتهم، اختار هؤلاء الناس الماضي بدلا من المستقبل. وهذا هو الاكتشاف المروع على مدار السنوات الأخيرة. وبالطبع، فإن التليفزيون الروسي ساهم بشكل كبير في إفساد الشعب. ويجب أن يخضع الصحفيين في الإعلام الروسي للمحاكمة جراء ما يقولون وأن يتحملوا المسئولية كاملة لما لكلامهم من تأثير سلبي على الناس.

فما يقولونه عن أوروبا، دونباس والأوكرانيين خطير. ليس فقط لأن الناس يريدون سماع ذلك، نستطيع الكلام اليوم عن بوتين داخل كل روسي. لقد واجهنا نفس ذات الموقف عندما غادرت الإمبراطورية الحمراء.

لقد عشنا وسط الضحايا والقتلة

من المروع حقا أن يشرع الناس في إطلاق الرصاص بدلا من التحاور. لكني لا أستطيع الجزم أن هذا الأمر قاصر على الروس. لقد رأينا هذا في القرن العشرين في يوغوسلافيا وأفغانستان. فالأمر لا يستغرق سوي لحظات حتي يخرج الوحش من داخل الإنسان. لقد حضرت الحرب في أفغانستان، ولم يُسمح لي بالمشاركة في المعارك، لكني رأيت أعين الناس بعد انتهاء المعارك. يحتاج الصبية الى بعض الوقت للتعافي، فوجوههم لم تكن طبيعية. بدأ القرن الواحد والعشرين بالدم مجددا، وعلى الأدب أن يتناول فكرة "قتل الأفكار"، علينا أن نتحاور بدلا من قتل البشر. علينا أن نحافظ على هذا السلام الهش الذي تلي الحرب. نتعامل مع الروس الذي تقاتلوا على مدار مائة وخمسين عاما خلال المائتي عام الأخيرة. لم ينعموا بالحياة الجيدة أبدا. حياة الإنسان لا تساوي شيئا عندهم، والعظمة وفق مفهومهم ليست أن يعيش الإنسان جيدا، وإنما أن تكون الدولة كبيرة مترامية الأطراف مليئة بالصواريخ. كبر أعداء السلام العدوانيون في فترة ما بعد الاتحاد السوفيتي، خاصة في روسيا وبيلاروسيا، حيث خضع الناس للخداع على مدار سبعين عاما، ثم تعرضوا للسرقة خلال العشرين عاما الماضية. أي شخص عاش في سنوات الاتحاد السوفيتي يستطيع الجزم أننا عشنا في ظل الضحايا والقتلة. على سبيل المثال، عشت في قرية تعرف أن هذا الشخص كان شرطيا نازيا خلال الحرب، وأن هذا الشخص قد خان الناس خلال فترة ستالين ومعسكرات الجولاج. عشنا وسط هؤلاء، والعيش وسط هؤلاء يقتضي أما أن تصير ضحية أو تصير قاتلا، ليس هناك من خيار آخر.

لا يوجد كيميائيا شيء اسمه الشر الخالص

كتبت قصة في كتابي تحكي عن رجل يقول: "لا يوجد كيميائيا شيء اسمه الشر الخالص."عندما كان صغيرا.وقع في غرام أوليا، التي كانت تملك صوتا جميلا وشعرا طويلا. خلال سنوات البيريسترويكا، بدا الناس في الحديث عن أنهم اعتادوا على الصمت. عرف أن أوليا وشت بأخيها عام ١٩٣٧، وأنه مات لاحقا في المعسكرات. وعندما كانت أوليا على فراش الموت بسبب مرضها بالسرطان، وجه لها سؤالا أرقه لمدة طويلة: "لماذا وشيت بأخيك؟"أجابت أوليا: "حاول أن تبحث عن شخص شريف في عهد ستالين. لم يكن هناك شرفاء."سألها مجددا، بينما يغادر: "ماذا تتذكرين عن عام ١٩٣٧؟"قالت: "كانت أفضل سنوات عمري، أحببت، كنت محبوبة، وسعيدة."أتري انتشر الشر في حياتنا على نطاق واسع، ليس شيئا معدنيا. في معسكر أوشفيتس الذي أقامه الرايخ الثالث في بولندا، كم عدد الألمان الذين دعموا وراعوا هذا الشر؟ تلك هي المشكلة الرئيسية، وهي تعيد نفسها في الحاضر. من الهام جدا أن نعرف من أين أتينا، وهذا يوفر تبريرا لما نحن نعيشه اليوم. لم نناقش ماهية مغسكرات الجولاج وما فعلته بالبشر، ولم نناقش الحرب. لم نتناولها باخلاص. أننا الآن في مواجهة الإجرام، ستالين يبدو حاضرا اليوم مرة أخري. المتحف الوحيد الخاص بضحايا الجولاج يقع في بيرم، تم تسريح كافة العاملين به مؤخرا، وسيعاد فتح المتحف مرة أخري في نفس المكان، لكن هذه المرة سيرعاه القتلة، وليس الضحايا. الفكرة الرئيسية للدولة أن ما فقدناه في التسعينيات كانت روسيا العظمي، التي علينا استعادتها،وقد اصابت هذه الفكرة الجميع كالطاعون. إن كتابي لا يعبر عن فقدان الأمل. إنه فقط يقوم بوصف قوة الروح الإنسانية. لكني على أية حال لا أستطيع العثور على إجابة لسؤال واحد: لماذا لا تتحول معاناتنا ومعاناة أجدادنا الى حرية؟ وهو سؤال كبير. في نفس الوقت، هناك الكثير من المعارضين في السجون، لكنهم لم ينهاروا، هم متماسكون. وفي المكان الذي قتل فيه نيميتسوف، حيث وضع الناس الزهور، قامت السلطات بإزالة الزهور في الليل، لكن الناس يضعون الزهور مجددا مرات ومرات في اليوم التالي. هذا هو الأمل.

بيلاروسيا هي خليط بين دولة المافيا والدولة السوفيتية

لقد عرفت الرقابة أيام الاتحاد السوفيتي، وصار الناس أكثر شجاعة أيام البيريسترويكا. عادوا للكتابة مجددا، وكان على العودة مرة أخري وطباعة إصدارات جديدة من كتبي. تزحف الآن الرقابة في بيلاروسيا، وصارت كالمستنقع، وأصبحت بيلاروسيا دولة شمولية منذ وقت طويل، بينما روسيا لا تزال في بداية الطريق. من الصعب أن تفرض روسيا هذا النظام الشمولي مقارنة ببيلاروسيا. لقد قمت بنشر كتبي في روسيا، وليس بيلاروسيا. وقد قام بعض الرفاق في بيلاروسيا بنشر كتابي باللغة البيلاروسية، لكن قاموا بطبعه في ليتوانيا. لدينا سيطرة شمولية تامة في بيلاروسيا. لقد سُجن المرشح الرئاسي السابق أندريه سانيكوف، الموجود في هذه الغرفة الآن، لأنه شارك في الانتخابات، وقد خبر قسوة شمولية النظام في بيلاروسيا. لذا فإن بيلاروسيا صارت كوكتيلا بين دولة المافيا ودولة على الطراز السوفيتي لن يستطيع التاريخ أن يصفها.

أنا كاتبة بيلاروسية

لقد قمت ببحث الحضارة السوفيتية على مدار أربعين عاما. الاشتراكية والفاشية فكرتان من إنتاج القرن العشرين. إنها أفكار ماكرة وخادعة. وكنت دوما في حيرة من تلك اللحظة التي أصاب فيها العمي المجتمع كما يحدث الآن في المجتمع الروسي. فالتخلص من الشيوعيين وإزالة صورهم شيء، لكن بترها من الروح أمر آخر تماما. مات والدي مؤخرا، لكن كانت وصيته أن تُدفن معه بطاقة عضويته للحزب الشيوعي، هو مؤمن بالشيوعية. أدرس وأحاول أن أفهم كيف حدث هذا في هذه المساحة الشاسعة التي شغلها الاتحاد السوفيتي، في الخمسة عشر جمهورية الي شكلته. أري نفسي كاتبة بيلاروسية، بمشاعر سوفيتية في الخلفية. وأعتبر نفسي كاتبة بيلاروسية لأني كبرت في ظل بيلاروسيا عقليا، جغرافيا وتاريخيا. بيلاروسيا داخلي. نعم أكتب باللغة الروسية، لكن الناس في بلاد أخري عديدة يكتبون بلغة أخري. على سبيل المثال، باللغة الألمانية، أو يكتبون في أيرلندا باللغة الإنجليزية. أعتقد أن هذه الأمور ليس لها حدود واضحة كما تبغون في بيلاروسيا- إما أن تكون روسيا أو بيلاروسيا. وهذا أمر واقعي في العالم الحديث. عندما كتبت عن تشيرنوبل، فقد تمددت رؤيتي للعالم. وعندا أدركت أن البشر شرعوا يخافون الماء والأرض، شعرت بتوحد مع كل كائن حي، مع الفراشات والقنافد. وقد وضعتنا كارثة تشيرنوبل في مرحلة جديدة تماما، رغم أننا لم ندركها بعد.

عدت الى الوطن لأني افتقدته

عشت في دول أوروبية عديدة على مدار ١١ عاما. هناك دعم قوي وتضامن بين الكتاب حول العالم. عدت لأني كاتبة في حاجة الى تنفس الهواء، الحديث مع الناس، رؤيتهم. أما السلطات فتتعامل كأنني غير موجودة، ليس لي ذكر في الإعلام الرسمي، وغير مصرح لي الظهور على شاشاة التليفزيون أو في الراديو. يهتم بي فقط الإعلام المعارض. وبالطبع مع الشهرة التي أملكها في العالم، ليس من السهل على السلطات أن ترتكب حماقات ضدي، رغم أن مثال أندريه سانيكوف يؤكد أنهم يستطيعون فعل أي شيء. إنهم لا يحترمون أحدا. عدت للوطن لأني افتقدته. أريد أن أري حفيدتي يانكا تكبر أمام عيني. أردت رؤية الناس والأرض. ورغم هذا من الصعب أن أستمر هنا، إنه مكان يبدو كالسجن.

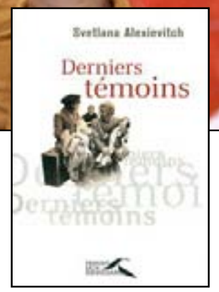

بدلا من سيرتها الذاتية تصدّر سفيتلانا ألكسيفيتش موقعها على الإنترنت، بالسطور التالية التي تصلح مدخلا كاشفا لرؤيتها لكتبها خاصة، وللكتابة عامة.

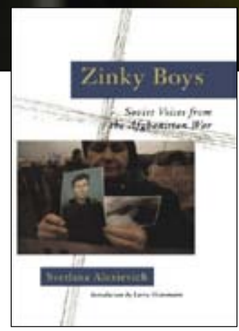

بدلاً من سيرة...

سفيتلانا ألكسيفيتش

أحمد شافعي

أبحث عن نوع أدبي يكون الأنسب لرؤيتي للعالم، يعبّر عما تسمعه أذناي وما تراه عيناي من الحياة. جرّبت هذا وذاك، وانتهيت أخيرا إلى نوع تتكلم فيه الأصوات البشرية مع أنفسها. في كتبي، بشر حقيقيون يتكلمون عن الحوادث الكبرى في العصر، كالحرب، أو كارثة تشيرنوبل، أو سقوط امبراطورية عظيمة. يسجلون معا تاريخ البلد، وتاريخهم المشترك، إذ يضع كل منهم في كلمات قصة حياته أو قصة حياتها. فاليوم وقد أصبح الإنسان والعالم كثيري الأوجه، شديدي التنوع، أصبحت الوثيقة في الفن متزايدة الإثارة والأهمية، بينما يثبت ضعف الفن بشكله المألوف. الوثيقة تقرّبنا من الواقع إذ تقتنص الأصول وتستبقيها. وبعد عشرين عاما من العمل على المادة الوثائقية وتأليف كتب بناء عليها أعلن أن الفن فشل في فهم أشياء كثيرة عن البشر.

لكنني لا أسجل وحسب تاريخا جافا للأحداث والوقائع، إنما أكتب تاريخ المشاعر البشرية. ما يفكر الناس فيه ويفهمونه ويتذكرونه من الحدث. ما يؤمنون به ويسيئون فهمه، ما يتوهمونه، ويرجونه، ويخشونه، ويختبرونه. هذا ما يستحيل تخيله أو ابتكاره، بحجم التفاصيل الحقيقية. إننا سرعان ما ننسى كيف كنا قبل عشرة أعوام أو عشرين أو خمسين. وفي بعض الأحيان نخجل من ماضينا ونرفض أن نصدق ما جرى لنا في الواقع الفعلي. والفن قد يكذب، أما الوثيقة فلا. برغم أن الوثيقة أيضا نتاج إرادة شخص ما وهواه. إنني أؤلف كتبي بآلاف الأصوات، والمصائر، والشذرات، المؤلفة لحياتنا ووجودنا. وأحتاج ما بين ثلاث سنوات وأربع لتأليف كل كتاب. أجري اللقاءات وأسجل الحوارات مع ما بين خمسمائة شخص وسبعمائة في كل كتاب. تاريخي يحتضن العديد من الأجيال. يبدأ من ذكريات من شاهدوا ثورة ١٩١٧، ويمر بالحروب وجولاجات [معتقلات] ستالين، ويصل إلى الزمن الحاضر. فهو قصة روح سوفييتية روسية واحدة.

كتابي الأول هو "وجه الحرب غير الأنثوي"

أكثر من مليون امرأة سوفييتية شاهدن ما جرى في الخطوط الأمامية للحرب العالمية الثانية. تراوحت أعمارهن ما بين الخامسة عشرة والثلاثين. برعن في العديد من المهن العسكرية، صرن ملاحات، وسائقات دبابات، وحاملات رشاشات، وقناصات، وأشياء أخرى كثيرة. لم يكن فقط ممرضات أو طبيبات كما في الحروب السابقة. ولكن الرجال نسوا النساء بعد الحرب. سرق الرجال النصر من النساء.

في كتابي تتكلم النساء المجندات عن هذه الجوانب من الحرب التي لم يأت الرجال بذكر لها. نحن لا نعرف شيئا عن مثل هذه الحرب. الرجال وصفوا بطولاتهم بينما تكلّم النساء عن شيء آخر. فعلى سبيل المثال، كم كان مرعبا السير بطول حقل مغطى بجثث القتلى، مبعثرة كالبطاطس، وكلها لشباب. إن المرأة لتأسف لهم جميعا، الروس منهم والألمان. وبعد الحرب، كان على النساء أن يخضن حربا أخرى. أخفين هوياتهن العسكرية وشهاداتهن، وجراحهن، لأنهن أردن أن يتزوجن.

كتابي الثاني هو"الشهادة الأخيرة: كتاب القصص غير الطفولية"

هذه ذكريات حربية لأولئك الذين كانوا فيما بين السابعة والحادية عشرة في زمن الحرب. هي الحرب موصوفة من خلال عيون الأطفال البريئة. ولقد قال دوستويفسكي مرة إن الخير العام لا قيمة له إن كان ثمنه دمعة على خد طفل.

الكتاب الثالث هو "صبية في الزنك"

هذا كتاب عن الحرب السوفييتية الأفغانية التي استمرت عشرة أعوام. وقوامه قصص يحكيها أكثر من مائة ضابط وجندي ممن شاركوا في هذه الحرب غير المفهومة، وأرامل أيضا وأمهات لضحايا الحرب. نتعلم كيف تصادم عالمان. الشرق والغرب. في نزال قاس ويائس. أي نوع من الحرب كانت، وما الذي كان يفكر الناس فيه آنذاك، كيف قتلوا بعضهم البعض، وكيف كدحوا جميعا من أجل البقاء. "حتى الوقت كان يمر هناك مرورا مختلفا، نتيجة الحائط نفسها كانت مختلفة: رجع بنا الزمن قرابة مائتي عام". ذلك ما ظللت أسمعه مرارا وتكرارا في كثير من القصص.

يطالع القراء هذا الكتاب كما لو كان مكتوبا الآن لا في زمن الحرب، كما لو كان مكتوبا لنا، نحن الشهود على مأساة الحادي عشر من سبتمبر حينما تغيّر العالم تغيُّرا جذريا في يوم واحد. يتراجع الكتاب بدلا من أن يتقدَّم، وصولا إلى المسلح لا الأعزل. يقول أحد الشخصيات في النهاية: "لن يرغب أحد ممن كانوا هناك أن يقاتل من جديد. عليكم أن تقاتلوا الأفكار لا الناس. اقتلوا الأفكار، التي تجعل عالمنا مخيفا طاردا، واتركوا الناس وشأنهم".

أليس هذا ما في عقل كل واحد فينا اليوم؟

صلاة تشيرنوبل: تواريخ المستقبل

عالم مختلف ذلك الذي نعيش فيه بعد كارثة تشيرنوبل. في الحقيقة أن كارثتين وقعتا في الوقت نفسه تقريبا، إحداهما ذات بعد كوني في تشيرنوبل، وأخرى اجتماعية حينما هوت أرض الاشتراكية الهائلة. ولقد طغت الثانية على الأولى لأنها كانت شاغلا فوريا لنا جميعا، وأيسر على أفهامنا. ولكن ما حدث في تشيرنوبل كان الكارثة الأولى من نوعها، فنحن أول من يمرون بها. ونحن نعيش معها الآن، وشيء ما يجري لنا: معادلة الدم والشفرات الجينية تغيّرت، آفاق كاملة مألوفة لم تعد كذلك. ولكننا كي نفهم ما يجري، نحتاج إلى خبرة بشرية مختلفة وأداة داخلية مختلفة، هي غير موجودة بعد. عيوننا وأنوفنا لا تستشعر بعد العدو الجديد، العدو الوافد من المستقبل: الإشعاع. حتى كلماتنا ومشاعرنا لم تتكيف بعد مع ما جرى، وكل تجربتنا مع المعاناة، أعني التجربة وراء تاريخنا كله، لا نفع لها الآن. فمقياسنا للرعب لا يزال نفسه: الحرب. ووعينا لم يتوغل إلى أعمق من هذا، لا يزال ساكنا عند العتبة. وما جرى في تشيرنوبل أسوأ كثيرا من الجولاج ومن الهولوكوست.

من الصعب أن ندافع عن أنفسنا ضد المجهول، ضد ما لا تألفه البشرية. لقد غيّر تشيرنوبل علاقتنا بالزمن. تعبيران من قبيل "أبدا" و"إلى الأبد" ممتلئان الآن بمعنى مختلف ومادة أخرى. كل أفكارنا عن الكوارث الكبيرة والصغيرة لم تعد ذات جدوى، وقد اختلس الإنسان نظرة إلى هوة الكون. لقد حرمنا الخلود في غمضة عين. سكن الزمن فوق عالم الموتي وصار ما كان عليه دائما: الأبد.

يوم ما، هو يومنا، هو يوم تشيرنوبل، أضحى أسطورة. ولسوف تنظر الأجيال الجديدة وراءها فترانا وتتساءل كيف جرى ذلك كله، وأي نوع من البشر كانوا يعيشون وقتها، وما الذي كانوا يشعرون به أو يفكرون فيه، وكيف كانت علاقتهم بما بقي في ذاكرتهم.

الإنسان والحدث، هل يستويان؟ هل يمكن ذلك؟ الأحداث في علاقة الشخص بها تؤلف حياته أو حياتها، ولكن الأحداث في علاقة الكثيرين بها هي التي تؤلف التاريخ. وتاريخ تشيرنوبل لم يزل في طور الكتابة. وهذا لغز على القرن الحادي والعشرين أن يعثر على حل له.

الغزال الرائع والصيد الأبدي

في هذا الكتاب حكايات مائة رجل وامرأة عن رغبات البشر وإخفاقاتهم وسعادتهم. ولكن ما الذي سيصادفه القارئ في هذا الكتاب؟ أن كل الأشياء مصيرها الذكريات. وأن كل حياة تنطوي بطريقتها الخاصة على إثارتها. وأنه لا فهم للحياة بغير الموت. وأن الحب يغوص بنا في أعماق ذواتنا. وأن البشر لا هم قديسون ولا شياطين لكنهم قائمون بين هؤلاء وأولئك. أن معرفتنا لا حول لها ولا قوة. وأن الناس في الحب تبحث عما تبحث عنه في الحرب وفي الجريمة. وأن كل واحد فينا يخفي بداخله الرجال والنساء. وأننا نعيش وسط ظلال، بين المحال وما لا وصول إليه. وأنك في الحب قد تختفي كما في الموت. وأن الحياة الحقيقية وموت الجسد كليهما يستعصيان علينا. وأن المسيح كان أيضا بشرا. وأن بوسعك أن تموت من الحب وسط الحرب. وأن كل إنسان قد يتذكر ما يود لو يخفيه. وأن كل كائنات هذا العالم يحب أحدها الآخر . الزهور، والشجر، والفراشات، والديدان، والطيور. وأنه ما لتكنولوجيا حديثة أن تحررنا من احتياجنا إلى الحب، والإحساس، والمعاناة. وأنه ليس بوسعنا أن نعتاد فكرة أن كل شيء محدود بدوام حياتنا. وأن هناك رجالا يدركون كم هو أمر مثير أن يكون الإنسان امرأة. وأن زمن الحب يسري فينا فيختلف سريانه عن الزمن العادي في حياتنا. وأن الناس يتوقون إلى الخلود. وأن الألغاز البشرية هشة ولا ترحم. وأن الألم فن. وأن موتنا البسيط شديد القرب. وأن كل ما هو روسي يملؤه الحزن.

نقلا عن موقع الكاتبة
نشرت الترجمة في عدد سبتمبر/أكتوبر ٢٠١٥
من عالم الكتاب

بعد فوز البيلاروسية سفيتلانا بـ«نوبل» للآداب

كتابة التاريخ بمهارة وجمال ليست تمريناً قبيحاً

جيمس سنل
ترجمة/ محمد الضبع

من المهم لكتّاب التاريخ ليس أن يكتبوا فقط، بل أن يكتبوا ببراعة الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش، التي فازت مؤخرًا بجائزة نوبل للآداب نظير أعمالها الروائية في توثيق ممارسات الاتحاد السوفييتي في نهاية مرحلته، علماً بأنها ليست المؤرخة الأولى التي تفوز بالجائزة، فقد فاز بها وينستون تشرشل سنة ١٩٥٣ لإجادته للوصف التاريخي والبيوغرافي كما يقول المانحون، بالإضافة إلى قدرته البارعة على الدفاع عن القيم الإنسانية. لكن هل بإمكان الأدب والتاريخ أن يشتركا معًا؟. هل يجب على كتّاب التاريخ أن يقوموا باتخاذ قرارات واعية متعلقة بعملهم على القواعد أكثر بقليل من الشكل فقط؟. بكل تواضع أن إجابة السؤالين السابقين هي: نعم. وبذلك ستتمكن الكتابة التاريخية من التحسن بشكل مبهر، على مستوى الجودة والوصول إلى القارئ. خذ نيال فيرغسون على سبيل المثال في كتابه «شفقة الحرب» عندما حاول فيه إعادة تقييم الجدل حول الحرب العالمية الأولى، فقوبل بالثناء الحماسي، وبالانتقاد الصارم عندما نشر لأول مرة. وأغلب الآراء السلبية حول الكتاب يمكن أن تُعزى لأسباب بحثية. ما أريد الإشارة إليه هنا أن جزءًا كبيرًا من الانتقادات التي وجهت لفيرغسون لم يكن سببها عدم إعجاب أصحابها بشكله وأسلوبه الكتابي. فقد كان كتاب فيرغسون من أول الكتب التاريخ الجادة التي قرأتها، وتأثيره علي كان كهربائيًا. بصرف النظر عن مجادلاته. كان الكتاب أشبه بالإنجاز الأدبي. وكان هذا صحيحًا بغض النظر أيضًا عن كل الخلافات التاريخية التي قد يقترحها البعض. بدأ الاهتمام مؤخرا يتصاعد بفكرة أن الكتابة البارعة في التاريخ لن تعكر أو تغفل من الحقيقة التاريخية والحدث ذاته. تلقيت مرة سؤال أحدهم الذي يقول هل سيصبح العالم مكانًا أفضل إن كتبت الكتب التاريخية بمستوى لغوي بسيط، يستطيع من لم يلتحق بالجامعة تلقيه وقراءته؟. وكان الهدف من هذا السؤال هو الإشارة إلى أنه من دون كتب التاريخ الذائعة الصيت سنصبح قريبًا نملك جيلًا لا يعرف شيئًا عن التاريخ إطلاقًا. كتابة التاريخ بمهارة وجمال ليس تمرينًا قبيحًا. على العكس تمامًا بإمكانه أن يحفز العقول الشابة، ويدفع بطرق جديدة ومتقدمة للتفكير بشأن العالم، بإمكانه أن يعيد إضاءة ذكريات قديمة، ويحيي أشكالا بائدة ومنقرضة، وكما قررت لجنة جائزة نوبل بحكمة اختيار الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش للفوز بها، بإمكان قرار كهذا أن يكون مفيدًا للمجتمع على نحو أكبر نرى نتائجه على المدى البعيد.

عن موقع الادب المعاصر

على الرغم من ورود اسمها في لائحة التوقّعات هذه السنة، وبقوة، إلى جانب الروائي الياباني هاروكي موراكامي والأميركية جويس كارول أوتس، فاجأت الكاتبة البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش الأوساط الأدبية، في العالم، بفوزها بجائزة نوبل للآداب. فهي ليست روائية بالمعنى الصرف للأدب الروائي، كما أشار بعض الذين أثار فوزها حفيظتهم، ولا تمثّل حقيقة الأدب الروسي والأدب البيلاروسي (الحديث وما بعد الحديث)، ولا يمكنها أن تُدرَج في خانة الكتّاب الروس الكبار الذين فازوا بهذه الجائزة، ومنهم- على سبيل المثال- بوريس باسترناك (١٩٥٨)، الذي أجبره النظام البولشيفي على رفضها، وألكسندر سولجنتسين (١٩٧٠)، وسواهما.

فوزها بـ (جائزة نوبل) أثار لغطاً!

موناليزا فريحة

رأى عدد من الكتّاب الروس أن سبب فوز سفيتلانا ألكسييفيتش بجائزة نوبل هو أنها في حال من الصراع مع الرئيس البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو، وكذلك مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي توجّه إليه النقد اللاذع، إضافة إلى أن الجائزة تخضع- أصلاً- للمعايير السياسية والأيديولوجية. وقال الناشر ورئيس تحرير صحيفة)زافترا((الغد) ألكسندر بروخانوف: «إن الجائزة تُمنَح وفق أجندات سياسية، وليس بحسب المعايير والكتابات الأدبية الجادّة والمعاصرة، وهي لا تُمنَح- أيضاً- نظراً إلى القيم اللغوية والأخلاقية». لكن الرئيس ألكسندر لوكاشينكو عَبَّرَ عن «سروره» لنيل الروائية هذه الجائزة، فقال: «أعبِّر، بكلِّ صدق، عن سروري بنجاحك. وآمل كثيراً أن تساعد جائزتك دولتنا وشعب بيلاروسيا».

لكن الأكاديمية السويدية اختارتها بحجّةٍ أن «أدبها متعدّد الأصوات، ويمثّل شاهداً على العذاب والشجاعة في عصرنا الحاضر»، كما جاء في بيان منح الجائزة الذي أصدرته الأكاديمية السويدية. وقالت سارة دانيوس، الأمينة الدائمة للأكاديمية السويدية، عنها إنها «ابتكرت نوعاً أدبياً جديداً، وتجاوزت القوالب الصحافية، ومضت في ترسيخ نوع أدبيٍ ساعد آخرون في ابتداعه»، وأضافت: «إذا أُخليت رفوف المكتبات من أعمالها فستكونَ هناك فجوات؛ وهذا يوضح، كثيراً، مدى أصالتها». هذا- باختصار- رأي الأكاديمية السويدية في هذه الكاتبة.

واللافت، كما أشارت وكالات الأنباء، أن الكاتبة غرَّدت، قبل ساعتين من إعلان الجائزة، على صفحتها في (تويتر) بأنها حازت الجائزة، وكانت هذه التغريدة مثار تكهُّنات وثرثرات كثيرة في مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الأدبية، وردَّت الكاتبة أن اللجنة اتَّصلت بها لتبلغها بفوزها قبل ساعتين من إعلان النتيجة. لكن موقع مجلّة (لو نوفيل أوبسرفاتور) الفرنسية أشار إلى إن تغريدتها هذه كانت لتدفع الأكاديمية إلى حجب الجائزة عنها، لأنها تؤثر الكتمان في قضية الجائزة.

غير أن الأكاديمية كافأت كاتبة سعت إلى تصوير الواقع بأدقّ حيثياته، وعرفت هذه الكاتبة كيف تلتزم بقضايا المجتمع، وكيف تقف «ضدّ الحرب والعنف والكذب»، وهي «الصفات التي كانت تلفّ الاتّحاد السوفياتي السابق»، وكيف «تنسج تاريخه». إنها كاتبة تستند إلى الواقع كي تسائل التاريخ والشرط الإنساني «لأولئك الذين يقفون قبالتي». ومن دون شكّ، كان الشرط الإنساني الذي تحدَّثت عنه هو شرط الإنسان خلال الحقبة السوفياتية، ومصيره الذي تحطَّم من طوباوية تلك المرحلة، التي كانوا يبشّرون بها.

وتصوِّر أعمال ألكسيفيتش حياة النساء السوفيات خلال الحرب العالمية الثانية، وتنقل تداعيات كارثة تشرنوبيل النووية عام ١٩٨٦، والحرب الروسية في أفغانستان، من منظور مواطنين عاديين. فهي عمدت إلى جمع مئات المقابلات مع أشخاص تأثّروا بهذه الأحداث الجسيمة، ووضعتها معاً في أعمال، قالت الأكاديمية السويدية إنها مثل «المقطوعة الموسيقية».

لا تكتب سفيتلانا روايات بالمعنى الكلاسيكي أو الحديث للرواية، بل هي تكتب أدباً يقع على تخوم الكتابة الوثائقية الروائية، مستعينةً بفنّ الريبورتاج الصحافي؛ مما يجعلها تنطلق من قصص واقعية وحقيقية. وتقول الكاتبة في هذا الصدد: «أذهب نحو الإنسان كي ألتقي بغموضه (وسرّه)، أذهب من روح إلى روح، لأن كل شيء يحدث هنا (في هذه الروح)». هكذا، لم تلجأ في كتبها إلى المتخيّل، فالسرد «وحده هو الذي يتراءى لي بمستوىٍ ما يحدث»، تقول. ولم تلبث أن أصدرت كتاباً مهمّاً هو «الاستجداء، تشيرنوبيل، حوليات العالم بعد القيامة» وهو لا يزال ممنوعاً، في روسيا البيضاء، حتى اليوم، وتروي فيه سيرة رجال ونساء يتحدّثون عن «درب الجلجلة» التي عانوها بعد حادث تشيرنوبيل النووي. ولقي الكتاب نجاحاً، مثله مثل كتابها اللاحق الصادر عام ٢٠١٣، بعنوان (نهاية الرجل الأحمر) (حاز جائزة ميديسيس الفرنسية بعد ترجمته)، وهو يركز على «هذا الرجل السوفياتي» كما تقول؛ إذ رغبت في أن تنقذه من الكذب الذي لفّه، ومن النسيان الذي وقع فيه، من خلال سرد أحلامه والمعاناة التي قاساها على الأرض، محاولةً إنقاذه من هذا المصير المأسوي.

في عام ٢٠١٣، أجرت صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية حواراً مع سفيتلانا أليكسييفتش، بعد صدور الترجمة الفرنسية لكتابها (نهاية الرجل الأحمر)، وبدا من أهمّ الحوارات التي أجريت معها في الصحافة الأجنبية. ومما قالت في هذا الحوار: «كانت الحرب الحديثَ الوحيد عند العائلات. توفّي جدّي لأمّي في المعركة، وجدّتي لأمّي، قتلها النازيّون. لقد قُتل شخص من بين كل أربعة في بيلاروسيا، خلال المأساة، وكانت حركة المقاومة قوية جداً. بعد الحرب، كنّا نخشى الذهاب إلى الغابات التي تمّ تلغيمها. في تلك الفترة، كنّا نرى المرضى والعُرْج يتسوّلون متشرّدين، إذ لم يكن لديهم مكان يبيتون فيه. بقوا على هذه الحال لغاية عام ١٩٦٠، قبل أن يموتوا جميعاً. في فترة مبكّرة، بدأ اهتمامي بأولئك الذين لم يلتفت إليهم التاريخ، أولئك الناس الذين يتنقّلون في العتمة، من دون أن يتركوا وراءهم أثراً، والذين لم يُطلَب منهم أي شيء. لقد روى لي أبي، وكذلك جدّتي، قصصاً كثيرة، وهي أشدّ رعباً من تلك التي سجّلتها في كتابي. لقد شكّل لي ذاك الأمر صدمة في طفولتي، ووسم ذاكرتي إلى الأبد». وتسألها (لوفيغارو) عن كتبها الخمسة التي كتبتها خلال ثلاثين سنة، وآلاف الشهادات التي جمعتها، وتعرُّضها للنقد الشخصي، حتى أن قضية رُفعت ضدّها، وقد مَثّلت كلّها مشروعها الفَريد، فتقول: «غالباً ما شعرت بأنني لن أمتلك القوّة لأتمَكّن من الوصول إلى نهاية هذا المشروع. أذكر أنني، ذات يوم، تحاورت مع امرأة أمضت خمسة عشر عاماً في أحد المعتقلات، تحت حكم ستالين، لكنها استمرّت بالرغم من كل شيء، كونه فوق كل شيء. بكيت بسبب ذلك، أذكر- أيضاً- أنني رأيت شبّاناً يعملون في مركز تشيرنوبيل، بعد الكارثة، من دون أيّة حماية خاصّة. كذلك، أذكر المستشفيات الأفغانية، حيث شاهدت- بأمّ العين- القذارات التي كان يرتكبها جنودنا. لقد جعلني ذلك أفقد وعيي مرّات عدّة. لست بطلة.. لقد لاحقتني كلّ تلك الأصوات. ولزمتني هذه السنوات بأسرها، كي أبني هذا الصرح من الكتب. هل كنت مخطئة في البدء بهذه المغامرة؟ أشعر، اليوم، أنني تحرَّرت من ذلك».

أما الملاحظة التي لابدّ من ذكرها فهي أن المكتبة العربية تجهل كتب سفيتلانا أليكسييفيتش؛ إذ لم يترجَم لها، حتى الساعة، أيّ كتاب إلى العربية.

وُلدت أليكسييفيتش في ٣١ مايو/أيار، عام ١٩٤٨، في غرب أوكرانيا، في كنف عائلة مدرّسين في الريف، وتخرجت في كلّيّة الصحافة في جامعة مينسك، وراحت تسجِّل، على جهازها، روايات نساء حاربن خلال الحرب العالمية الثانية، واستوحت منها روايتها الأولى (الحرب ليس لها وجه امرأة). ومنذ ذلك الحين، استخدمت أليكسييفيتش الطريقة نفسها لكتابة رواياتها شبه التوثيقية، فأجرت مقابلات على مدى سنوات مع أشخاص عاشوا التجارب المريرة، وقد حقّق لها كتاب (نعوش الزنك) حول حرب أفغانستان، الذي نشر عام ١٩٩٠، شهرة كبيرة، وتُرجمت أعمالها إلى لغات عدّة، ونشرت في العَالم بأسره. وقد حُوِّل بعضها إلى مسرحيات عُرضت ففي فرنسا وألمانيا، حيث حازت عام ٢٠١٣ جائزة السلام العريقة، في إطار معرض فرانكفورت للكتاب.

جريدة النهار اللبنانية

الحائزة على "نوبل للآداب" تتحدث عن المآسي السوفييتية التي صاغت كتبها

في أوروبا هناك دول توقف الزمن فيها. في مينسك، عاصمة بيلاروسيا، الشوارع شبه الخالية مزينة بالإعلانات الرسمية عن الأسمدة أو المعادن المحلية. في السوق التجاري «أوسيون»، نجد علب الأسماك المحفوظة التي تنتجها شركات تنتمي إلى عصر الاتحاد السوفييتي. وفي «محل الدولة العالمي»، تصطف زجاجات الشامبانيا الشراب المسكر للغاية التي تلازم كل المآدب في زمن الاتحاد السوفييتي إلى جانب «الكونياك"الأرمني أو الفودكا الروسية.. منتجات تعظم الحنين الذي لا نجده أبداً على الأرفف الموسكوفية. أكثر من ذلك، في الميدان الستاليني الكبير المهدى إلى ذكرى الحرب العالمية الثانية، كتبت كلمات زاعقة بأحرف كبيرة: «استغلال الشعب أبدي». بعيداً نوعاً ما، قرب البرلمان المغطى بندف الثلج، شاحنة تذكر المعارضين الافتراضيين بأن السلطة دوماً جاهزة للاستلام. بالابتعاد عن وسط المدينة، أصل إلى حي متطرف نوعاً ما، يطل على البحيرة. من اللازم أن أجد المدخل الصحيح حتى أتمكن من الدخول إلى البناية التي تسكنها الكاتبة البيلاروسية الشهيرة سفتلانا آلكسيفيتش، التي استقبلتني في غرفة قرمزية مزدانة بالخشب المجدول. حتى وإن قالت بأنها تشعر بكونها في أمان، تفصح لي عن جيرانها المساجين، وأن هناك من يفتح رسائلها وأن كافة اتصالاتها الهاتفية تحت المراقبة.

بلغت مينسك على أمل اختراق الخفايا التي تدفع سفتلانا إلى وصفها في نتاجها الذي تم تعيينه بكونه ينتمي إلى ما يسمى «روايات الصوت»، السيمفونيات التي تمزج الشهادات الرهيبة والحميمية المصورة لتراجيديا العصر السوفييتي: القمع الستاليني. الحرب العالمية الثانية، حرب أفغانستان، كارثة شيرنوبيل، الصراعات ما بعد المرحلة السوفييتية... رغماً عن المعاناة الكبيرة، لماذا لم تزل النوستالجيا نحو الشيوعية قائمة؟ لماذا يتشابك الخير والشر في التاريخ الواقعي؟ بينما أوكرانيا، الجارة، في حالة حرب، نرجع طويلا إلى هذا الماضي الذي يعتبر أفقنا، ونحن نتناول الشاي والحلوى البيلاروسية.

ترجمة: أحمد عثمان

× ما الذي تتذكرينه كثيراً من مرحلة طفولتك؟

×× كنا نحيا في الريف حيث كان والدي يعمل مديراً لمدرسة وأمي معلمة وأمينة مكتبة. كانا يمضيان وقتهما في العمل ولا أراهما كثيراً. فتحت جدتي عيني على العالم. كل صيف، نرحل لرؤيتها في أوكرانيا. بيلاروسيا بلد فقير. الفقر سائد، ولكن البيوت جميلة والطبيعة معطرة. المقالي تسخن على القش وتفوح منها روائح عطرة. كنا نعد خبزنا بأنفسنا... ومع ذلك، في قلب هذه الطبيعة الغنية، كنا نلاقي مصابي الحرب، المقعدين الذين يتحركون على ألواح خشبية ذات عجلات. في السوق، يطلبون الصدقة. في القطارات، يتجمعون لكي يغنوا أغاني الجبهة. لوحة غريبة. وفي الأساس، يتبادل الفلاحون الأحاديث بصورة رائعة. كانت جدتي تقص عليّ كيف تزوجها جدي. بيد أنها كلمتني أيضاً عن «الهولودومور»، تلك المجاعة التي أمر ستالين بها في عام ١٩٣٣ وأدت إلى وفاة ملايين الأشخاص. عاشتها جدتي وحكت لي أشياء فظيعة. مضينا أمام بيت الجيران. خرجت عجوز منه. وهنا بدأت جدتي تتكلم بصوت خفيض، فسألناها عن السبب، فقالت لأن هذه المرأة أكلت أطفالها خلال المجاعة!!.

ذكريات الجوع

× بيلاروسيا، أرض عانت كثيراً خلال الحرب العالمية الثانية، هل كان الناس يتكلمون عن هذا الشأن؟

×× نعم! وفي الريف أكثر من المدينة، حيث كان الناس حذرين. وقت التعميد أو الزواج، يبدأ العجائز في الكلام عن الحرب. وبما أنه لم يعد هناك الكثير من الرجال، فلا كلام عن الجبهة. ولكن، وكانت النساء على وجه الخصوص تستدعي حرب الأنصار ضد النازيين. ومع ذلك كانت هذه الحرب ضارية. كان الأنصار السوفييت جوعى ومنهكين يختفون في الغابات. فجأة، يتجهون إلى قرية ويأخذون آخر بقرة يملكها فلاح. تلك هي الحكاية الأكثر قسوة وقوة. لم أنسها. تخيل: البالغون على طاولة. نحن، الأطفال، نركض حولهم. أحيانا، ينهروننا ويطالبوننا بالخروج. ولكن دوما أحاول التنصت... (حكاية) عن هذه المرأة التي تختفي في المستنقعات، مع أطفالها، هاربة من النازيين. لا تستطيع إطعامهم كلهم. اقتربوا من الإمساك بها. أغرقت اثنين منهم.

× ما الذي يتبقى لك من هذه الذكريات؟

- شيء من الريبة إزاء الكلمة المطبوعة. ما ذكره هؤلاء الناس أكثر رعباً مما نقرأه في الكتب والمقالات التي تتكلم عن انتصار «النحن» على «الآخرين». الحرب، في الأدب، جميلة جداً. لها معنى: يجب دفع العدو للوراء. ولكن ما ترويه الفلاحات محرومٍ من المعنى. يروين القسوة الإنسانية، مثلاً، عن الطريقة التي وصلت بها جماعة من الأنصار إلى قرية معينة وقتلت كل أفراد عائلة أحد «البوليتساي"(كلمة ألمانية تعني شرطة، بيد أنها تشير إلى أعضاء الشرطة المدنيين العاملين مع «الفافن اس اس»، وحدة الحماية الوقائية النازية، في الدول التي تم احتلالها)، الأطفال والأجداد، وحرقت مزرعتهم. فضلاً عن ذلك، عصرذاك، هناك موضوعات محرمة: لم يذكر الإعلام السوفييتي والكتب الطريقة التي تعامل الألمان بها مع اليهود. لقد تم محو الثقافة اليهودية من الثقافة البيلاروسية، وتلك خسارة كبيرة. تروي الفلاحات ما جرى.

◄

في القرى، من الممكن وجود خياطين، صناع أحذية، وتجار يهود. في ليلة، قبضوا عليهم ولم يرهم أحد بعد ذلك. كانت هناك حكايات رهيبة عنهم.

كنت ريفية

×× هل منعتك هذه الحكايات من الاعتقاد بالشيوعية؟

×× ليس تماماً. لم أولد مشنقة. مثل كل التلاميذ السوفييت، أقرأ الأدب المسموح، الذي يحتوي على حجم كبير من حكايات الحرب المليئة بالانتصار والبطولة. خضعت لضغط أيديولوجي مزدوج، من المدرسة والوالدين. لم يكن من الضروري عدم الاعتقاد بالشيوعية في هذه الظروف. انتميت من دون مشكلة إلى الشبيبة الشيوعية. ولكنني طرحت بالمثل أسئلة مخالفة على معلمي. ولمعاقبتي، منعوني من الاستفادة بجائزة حصلت عليها وتسمح لي بزيارة كل «أماكن لينين" في أوروبا. لم أكن معارضة، ولكنني كنت أفكر بطريقة أخرى. حينما دخلت إلى الجامعة، كلية الصحافة، شغفت كثيراً بالفلسفة. حاولت قراءة ماركس، ولكنه لم يثر إعجابي وأهملته. فضلت جراماشي الذي يمثل الطبعة الإيطالية للاشتراكية. وبفضل طلاب «الدول الشقيقة»، تمكنت من قراءة فرويد أو نيتشه. ومتأخراً، سافرت إلى الخارج، وبدأت أبتاع كتباً، وتحديداً أدب المعسكرات الستالينية. ولكن في السبعينيات، لم أكن أعرف شيئاً عن هذا كله، كنت ريفية ولم أذهب بعد إلى موسكو!

× كيف تشأت فكرة كتابك الأول «الحرب لا تحمل وجه امرأة "(١٩٨٣)؟

×× في نهاية دراستي، اخترت العمل في صحيفة محلية. وهكذا رحت أتناقش مع العجائز. في هذه الأثناء، قرأت كتب الكاتب البيلاروسي آلس أداموفيتش. كان يجوب وزملاؤه الريف بحثاً عمن بقوا أحياء من القرى التي حرقها النازيون خلال الحرب ويسجلونها. وعندما استمعت إلى هذه الأصوات الكثيرة، شعرت من فوري بالشكل الأدبي الذي عليّ أن أتبناه. أيضاً، رحت بدوري أجمع الشهادات، طوال سبع سنوات. اخترت موضوعة الحكايات النسوية عن الحرب، لأنها أصوات النساء، مثل جدتي، التي بقيت في ذاكرتي.

أدب الحرب

× قلت إننا نشعر بكوننا سجناء الصور الذكورية عن الحرب..

×× تأثرت كثيراً حينما عرفت أن هذه النساء شعرت بالشفقة تجاه الألمان. في المدرسة، تعلمنا بأننا لا يجب أن نشعر بالشفقة تجاه الأعداء. ولكن الحرب، بالنسبة لهذه النساء، لم تكن مدونة في القوانين التي كتبها الرجال. كانت النساء تحدثني عن الأشجار المحروقة والعصافير المقتولة بعد القصف كما عن الضحايا من الناس. في أدب الحرب، المرأة موجودة لتزيين استغلال الجندي، بالسفر عبر البلاد والإنصات إلى السيدات العجائز، اكتشفت شيئاً آخر. أفضل النساء البسيطات. ترجع الشخصيات المتعلقة إلى المصطلحات والمفاهيم المستعارة من الكتب والصحف. لدى البسطاء، تولد المعرفة والحكمة من المعاناة، من الجهد الشخصي والموهبة. بعد ذلك، لاحظت نفس الشيء بعد كارثة شيرنوبيل. العلماء، المثقفون، الموظفون شردوا جميعاً ولم يعرفوا كيفية التفكير. بينما لدى البسطاء، لاحظت الهدوء والحكمة الكبيرين.

× كيف تم استقبال الكتاب؟

×× بدأ النشر في البداية في المجلة الموسكوفية «أكتوبر»، في عام ١٩٨٣. تم حذف بعض الأجزاء رقابياً. ولكن الرقابة الذاتية، رقابتي ورقابة المجلة، كانت أشد من (جهاز) الرقابة. حاز الكتاب استحساناً كبيراً. تم طبع مليوني نسخة. ظهر في عصر «الشفافية" لجورباتشوف، الذي كان بمثابة إعلان نهاية الاتحاد السوفييتي. كنا نبحث عن الحقيقة مرحلة معينة وبدأنا نشك في أن الرجل ليس بالهين، كما كانت البروباجندا تشيع عنه. أخذت أبحث عن فهم الحياة الإنسانية. فضح كذبة النظام الشيوعي أو البوتينية التي تعتبر ثانوية. لا تثير الأشياء اهتمامي بما أنها تتموضع على السطح الإيديولوجي، وتظل بالنسبة لي مزيفة. ولكن المحصلة تبدت في أن هذه الكتب دمرت نفس الأساطير، السوفييتية أو ما بعد السوفييتية.

في أفغانستان

× كيف تمكنت من نشر «توابيت رصاصية»، ذلك الكتاب القاسي عن حرب أفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٩)؟

×× لم أكن أود كتابة كتاب آخر عن الحرب. هذا الموضوع أنهكني. غير أنني ذهبت لزيارة والدي في الريف. عرفوني بجندي قادم من هناك. أصبح مجنوناً. طريقته في الكلام، الصياح، أثرت علي. وهكذا، قررت على الفور كتابة هذا الكتاب. بدأت في جمع الشهادات. الاختلاف، أنني استطعت السفر إلى أفغانستان. لم يكن الحصول على ترخيص بالأمر السهل. أمضيت هناك ثلاثة أسابيع في نهاية الثمانينيات. لم تزل الحرب أكثر رعباً من الكتب. تبدى لي كل شيء مشوشاً: بطولة هؤلاء الصبية. ولكن باسم من؟. هذا الموت الفظيع، الإدمان على الخمور الليلي... لا أتحدث عن التعذيب... ومع ذلك كان هؤلاء الصبية بعيدين عن أن يكونوا وحوشاً. كان الكثير منهم من أبناء معلمي وأطباء الريف، أبناء الانتلجنسيا الحضرية الذين شربهم أبناؤهم الشعارات السوفييتية. عائلتي من ضمنهم. الجنود القادمون من المناطق الريفية سذج. كانوا يعتقدون بأنهم يشاركون في حرب جميلة من أجل قادم من هناك. أصبح مجنوناً. طريقته في الكلام، الصياح، أثرت علي. وهكذا، قررت على الفور كتابة هذا الكتاب. بدأت في جمع الشهادات. الاختلاف، أنني استطعت السفر إلى أفغانستان. لم يكن الحصول على ترخيص بالأمر السهل. أمضيت هناك ثلاثة أسابيع في نهاية الثمانينيات. لم تزل الحرب أكثر رعباً من الكتب. تبدى لي كل شيء مشوشاً: بطولة هؤلاء الصبية. ولكن باسم من؟. هذا الموت الفظيع، الإدمان على الخمور الليلي... لا أتحدث عن التعذيب... ومع ذلك كان هؤلاء الصبية بعيدين عن أن يكونوا وحوشاً. كان الكثير منهم من أبناء معلمي وأطباء الريف، أبناء الانتلجنسيا الحضرية الذين شربهم أبناؤهم الشعارات السوفييتية. عائلتي من ضمنهم. الجنود القادمون من المناطق الريفية سذج. كانوا يعتقدون بأنهم يشاركون في حرب جميلة من أجل قادم من هناك. أصبح مجنوناً. طريقته في الكلام، الصياح، أثرت علي. وهكذا، قررت على الفور كتابة هذا الكتاب. بدأت في جمع الشهادات. الاختلاف، أنني استطعت السفر إلى أفغانستان. لم يكن الحصول على ترخيص بالأمر السهل. أمضيت هناك ثلاثة أسابيع في نهاية الثمانينيات. لم تزل الحرب أكثر رعباً من الكتب. تبدى لي كل شيء مشوشاً: بطولة هؤلاء الصبية. ولكن باسم من؟. هذا الموت الفظيع، الإدمان على الخمور

× من كتاب إلى كتاب، هل واتتك فكرة وصف جذرية عن العصر السوفيتي؟

×× لا. ولكن هذا ما جرى مع حدوث كارثة شيرنوبيل، في عام ١٩٨٦، التي أصابت بيلاروسيا بقوة مثل أوكرانيا. بمناسبة هذه الكارثة النووية، شعرت بأن الصرح السوفييتي على وشك الانهيار وأننا وصلنا إلى نهاية تاريخ هذه اليوتوبيا. من دون شك، كتابي «الابتهال "الأكثر أهمية. تطلب بذل الكثير من الجهد. أكثر صعوبة، لأنني تكبدت الكثير للامساك بالموضوع: كيف نسمي ما جرى هناك؟ وهكذا واصلت منهجي: جمعت الشهادات. ثم رسمت خطوطه العامة. فلسفة «الكل "انبثقت، وفهمت ما علي تحقيقه. مع شيرنوبيل، ولجنا عالماً ممنوعاً. فهمنا أن التقدم التكنولوجي يعرض طريقاً انتحارياً. يتعلق بحرب من نمط جديد: حرب لا يحارب الإنسان في ميدانها أحاد الإنسان فقط، وإنما يحارب كل ما هو حي عامة: النبات والحيوان، الأرض والسماء. في النطاق المشع، نجمع العصافير بالمجرفة. لا نحرق أوراق الشجر الميتة، المشعة، وإنما نطمرها. فضلاً عن ذلك، لا نعرف عما يجب الخوف منه. وكان الموت مؤجلاً، صامتاً. لا تشبه الطبيعة شيئاً معروفاً. يوم الحادث، رأيت سحابة سوداء ضخمة، في الأيام اللاحقة، أخذت المستنقعات ألواناً عجيبة. أصبحت سوداء، صفراء، خضراء، لامعة. في النطاق المشع، أشجار التنوب والصنوبر تحول لونها إلى الأحمر ثم إلى الأحمر القاني. في السماء، شيء من اللمعان، الألق. بالتأكيد، لم يتجهز أحد لذلك. لقد نشأنا في ظل الفكرة القائلة بأن المشروع النووي السوفييتي السلمي غير ضار. ونتيجة لذلك، للمقاومة، استعنا بالوسائل التي نعرفها: أرسلنا العسكريين المزودين بالبنادق. يا للعبث!

«الإحياء "السوفييتي

× «نهاية الرجل الأحمر»، نهاية سلسلة كتبك. يستدعي النوستالجيا القوية تجاه الاتحاد السوفييتي، بعد خمسة وعشرين عاماً من تفككه. مينسك، كنموذج سوفييتي كبير، مثال طيب...

×× يرتكن الكتاب إلى «الإحياء "السوفييتي الذي يجتاز حالياً روسيا بوتين والكثير من الدول السوفييتية السابقة. بيلاروسيا حالة مختلفة: لم نرجع إلى الشيوعية لأننا لم نخرج منها بعد: بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أوقف الرئيس لوكاشنكو الزمن. وحينما رأوا، في الدول السوفييتية السابقة، أن الإصلاحات حملت عدم الأمن ولم تفض إلى أي نتيجة فورية، قبل الناس بكل سرور بالسوفييتية. خاف البيلاروسيون من التغييرات. في الأساس، كان انهيار الاتحاد السوفييتي لدى غالبية الناس مأساة. مثلاً، فقد والدي صوابه. كان مؤمناً بالشيوعية. وكان يرى ضرورة تنظيف هذا الصرح، ولكن ليس إسقاطه. ووجهة النظر تلك لا تتعلق بإنسان فاسد، وإنما بإنسان صادق وجاد. الشهادات في «نهاية الرجل الأحمر "تغوص في هذا الشأن. يتحسر الكثيرون على تعظيم التضحية التي بلورت المجتمع. كانت النقود محتقرة. الإيثار قيمة. السيء، ليس فقط في أن الناس يريدون العودة إلى الوراء، وإنما أيضاً أولادهم. اليوم، بين الشباب، هناك الكثير من الشيوعيين. ولا أعتقد في إمكانية تحريرهم بسهولة من الشيوعية.

× حينما سئل المنشق البولوني آدم ميشنيك عن السيء في أوكرانيا، أجاب: «ما سوف يأتي لاحقاً»...

×× تلك جملة واضحة للغاية. بعد الشيوعية، لم يبق سوى المشرد الذي لا يعرف كيفية العيش. القادة الذين حكموا روسيا بعد نهاية الاتحاد السوفييتي سلبوا البلاد وجعلوا الشعب حانقاً. نتيجة لذلك، أصبح المفهومان «ليبرالي» و«ديمقراطي» كلمتين كبيرتين. وهكذا قرر الناس إعادة بداية التجربة. هنا، التاريخ تراجيدي: طوال الثلاثين أو الأربعين عاماً، جرى شيء فظيع. ولكن الناس اعتادوا على العيش في ظل هذه الظروف. لم يعيشوا شيئاً آخر. لم يكونوا يوماً ما أحراراً. يعرفون أنه يمكن أخذ كل شيء منهم في أي لحظة. علاوة على ذلك، جذور هذا الشعور أعمق من الشيوعية. وهذا يرجع على الأقل إلى عصر إيفان الرهيب. في هذه الأرض الأسيوية، الثقافة المسيحية المتعلقة بالتضحية ارتبطت بالتقديس الشيوعي للموت. بالنسبة لبيلاروسيا، ما جرى رهيب. في ديسمبر ٢٠١٠، خرج البعض يتظاهر ضد انتخاب لوكاشينكو. ألقت الشرطة القبض على ستمائة وتسعة وثلاثين شخصاً منهم. وهكذا، لم يكترث أحد لما جرى. الناس مشغولون دوماً بالبحث عن عمل، كسب المال، وجاهزون لإغلاق العينين عن الباقي. في الواقع، هناك عقد ضمني مع الحاكم: لدينا عمل، نستطيع السفر فإلى دول شينجن، وبالتبادل، نتركك حراً. وهكذا، بعد الشيوعية، لم يكن الناس قادرين على الإجابة بأنفسهم. الشجعان قلائل هنا. بالتالي لا يمكنهم الكلام صراحة عن الرعب، وإنما عن الخوف الدائم. بالنسبة للوكاشينكو، أنه حر، لأنه يفكر في ضبط وضع المجتمع. ولكن إذا شعر بفقدانه للضبط، لن يوقفه أحد لكي يظل في السلطة. يغلق البلاد ويحولها إلى كوريا الشمالية. إذا اجتمع مائة ألف شخص، لن يتردد عن إسالة الدماء.

تاريخ النفوس

× ما هي الحقيقة التي تعملين على إدراكها بطريقتك الخاصة للغاية في الكتابة؟

×× لا أبحث عن إنتاج وثيقة، وإنما عن رسم لوحة العصر. ولهذا أعكف من سبع إلى ثماني سنوات في كتابة كل كتاب. أسجل مئات الشخصيات. أرجع لرؤية الأشخاص أكثر من مرة. في الحقيقة، من اللازم بداية تحريرهم من الثقافة القابعة في داخلهم. في البداية، يرددون كل ما قرأوه في الصحف والكتب. ولكن، تدريجياً، يتجهون إلى أعماق ذاتهم وينطقون جملاً مستعارة من التجربة الحية والفريدة. في النهاية، لا أحتفظ من كل خمسين أو ستين صفحة إلا بنصف صفحة أو أقل. بالتأكيد، أغربل قليلاً ما قالوه لي، أحذف التكرار. ولا أؤسلب أبداً، وأعمل على المحافظة على اللغة التي يستعملونها. وإذا شعرت بأنهم يتكلمون جيداً، فهذا لأنني أترصد اللحظة التي سوف يذكرون فيها الموت أو الحب. وهكذا ينتبه ذهنهم، ويشطون. والمحصلة دوما رائعة.

قبل أن تحصل على جائزة نوبل للآداب هذا العام ٢٠١٥، حازت قبل عامين على جائزة ميديسيس الفرنسية المرموقة عن كتابها «نهاية الرجل الأحمر». منحت سفتلانا ألكسيفيتش صوتاً لهؤلاء الذين، بدءاً من الحرب العالمية الثانية إلى مرحلة بوتين مروراً بحادثة شيرنوبيل. وسمتهم علامة السلطة السوفييتية.

سأشتري الحرية

بحسب بيان الأكاديمية السويدية، فإن فوز الكاتبة والصحفية البيلاروسية سفتلانا ألكسيفيتش، كان بسبب كتاباتها المتعددة الأصوات التي تمثل معلماً للمعاناة والشجاعة في الزمن الراهن.

وتعد ألكسيفيتش أول صحفية تفوز بالجائزة، ومن أشهر أعمالها: أصوات من تشيرنوبل، تاريخ شفاهي للكارثة النووية في عام ١٩٨٦، و«أولاد في الزنك».

وتظهر تيمة الموت في معظم أعمالها، لكنه «الموت الذي يلهم المرء الحياة»، كما كتب أحد النقاد الروس.

وتتضمن أعمال ألكسيفيتش تصويراً لحياة النساء السوفييتيات خلال الحرب العالمية الثانية إلى جانب تداعيات كارثة تشرنوبيل النووية عام ١٩٨٦ والحرب الروسية في أفغانستان من منظور مواطنين عاديين.

وقالت الأكاديمية السويدية لدى إعلانها عن فوز ألكسيفيتش بالجائزة: «تعمق ألكسيفيتش بأسلوبها الاستثنائي – الذي يقوم على تداخل دقيق بين صوت البشر – فهمنا لعصر كامل».

وقالت أليكسيفتيش، إن الجائزة ستمكنها من التفرغ لمشروعي كتابة جديدين. وقالت للتلفزيون السويدي «بالنسبة للنقود سأشتري شيئاً واحداً، سأشتري الحرية. أستغرق وقتا طويلاً للغاية لكتابة كتبي. من خمس إلى عشر سنوات».

وتابعت قولها «لدي فكرتان جديدتان لكتابين جديدين، لذا أنا سعيدة الآن لأنني سأتمكن من العمل عليهما».

وقالت سارة دانيوس الأمينة الدائمة للأكاديمية السويدية «ابتكرت نوعاً أدبياً جديداً، تجاوزت القوالب الصحفية، ومضت قدما في نوع ساعد آخرون في ابتداعه».

النوبليون

تعتبر سفيتلانا ألكسيفيتش، وهي من مواليد ١٩٤٨م، في الرتبة ١٤ في تسلسل النساء الحائزات جائزة نوبل للآداب في تاريخ الجائزة.

علما أن الحاصلين على الجائزة في العشر سنوات الأخيرة، هم:

٢٠٠٥، هارولد بنتر، المملكة المتحدة

٢٠٠٦، أورهان باموق، تركيا

٢٠٠٧، دوريس ليسينغ، المملكة المتحدة

٢٠٠٨، جان ماري غوستاف لو كليزيو، فرنسا

٢٠٠٩، هيرتا مولر، ألمانيا

٢٠١٠، ماريو بارغاس يوسا، بيرو

٢٠١١، توماس ترانسترومر، السويد

٢٠١٢، مو يان، الصين

٢٠١٣، أليس مونرو، كندا

٢٠١٤، باتريك موديانو، فرنسا

يذكر أن الجائزة احتجبت في الأعوام التالية: ١٩١٤ و١٩١٨ بسبب الحرب العالمية الأولى، وفي عام ١٩٣٥، وفي الأعوام: ١٩٤٣، ١٩٤٢، ١٩٤١، ١٩٤٠ بسبب الحرب العالمية الثانية.

عن جريدة أخبار الأدب المصرية

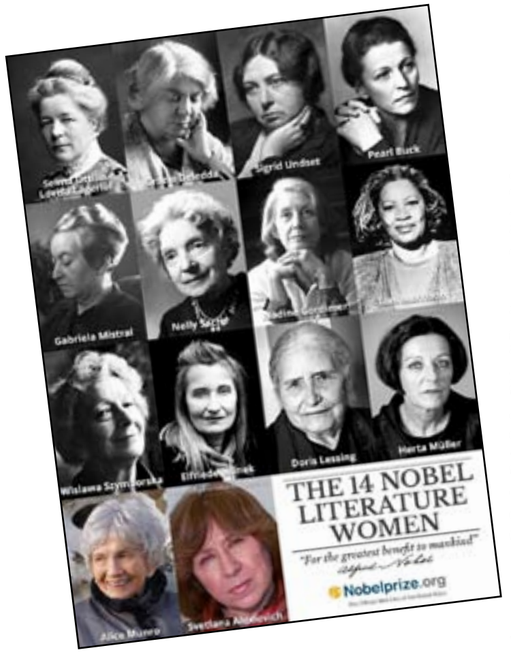

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

الفائزة بجائزة النوبل للادب:

الزمن مليء بالامال

ترجمة ابتسام عبد الله

قالت سفيتلانا ألكسيفيتش ان روسيا قد فقدت الفرصة لتصبح من الدول المتقدمة. وفي خلال محاضرتها عن "جائزة نوبل للآداب، ردً عليها صحفي من صحيفة بيلاروسيا، قائلاً: "الزمن مليء بالامال". ان ألكسيفيتش التي وهذه الامال هي البديل عن الخوف. وهي عندما تسرد حكاياتها عن ألوف المواطنين من الاتحاد السوفيتي، تكاد تحفظ حكاياتهم واضافت "ان هذه المرحلة الحالية قد دارت حول نفسها وتوجهت نحوه عائدة الى زمن الخوف والرعب. وهذه المرحلة التي نعيش فيها هي الدرجة الثانية".

إن كل ما تحتاجه لمعرفة سيفيتلا، التي فازت بجائزة نوبل في الأدب، لهذا العام وتقول: "إنني اختار الحرية لاننا فقدنا الفرصة، وان خُيرّت فيما اختار فانني افضل الحرية، الفرصة في اعوام التسعينات، علينا ان نحول السؤال الى: "نوع البلد وكيف يكون، والبلد القوي، او الثري، حيث يعيش المواطن فما هو البلد الذي نريده؟ دولة قوية، أم اخرى تستحق ذلك، حيث المواطن محترماً، مرة اخرى حيث يعيش المواطن محترماً؟ هل نختار الدولة القوية مرة اخرى، سنختار الدولة القوية بالتأكيد، نحن نعيش مرحلة القوة.

ان الروس يقاتلون اوكرانيا، والطائرات الروسية تهاجم اوكرانيا وتلقي عليها القنابل".

"وفي بعض الاحيان، احس اني لم اكمل كتابة التأريخ للرجل "الاحمر".. وانا لدي ثلاثة منازل، في بيلاروسيا، عاش والدي، حيث امضيت سنين عمري بأكملها. اوكرانيا هي موطن والدتي، وهناك وُلدتُ، وهي ايضاً تضم كل الثقافة الروسية، وكلها قريبة مني، وبدونها لا اقدر ان اتخيل نفسي".

وقد امتدحتها الاكاديمية السويدية لاهتماماتها بما يعانيه الانسان، وايضاً لشجاعتها. عندما تم الاعلان عنها بـ"الفائزة بجائزة النوبل لعام ٢٠١٥ للآداب. وفي خلال محاضرتها الاسبوع الماضي.

وتقول سفيتلانا: "لقد جمعت حياتي والزمن الذي عشته. واننا فقدنا الفرصة التي كانت امامنا: وتسائلت: "هل نريد دولة قوية حيث يعيش المواطن بسلام".

وقد امتحدت الاكاديمية السويدية أسلوبها في الكتابة وامتدحت شجاعتها في زمننا هذا."

وفي خلال محاضرتها الاخيرة قالت انما ستجمع كل ما حدث في ايامها، واحاسيسها وافكارها".

وقالت ايضاً: "انهم يقولون عني باستمرار ان عملي لا ينتمي للأدب بل نوع الوثائق".

وتحدثت في محاضرتها عن شيرنوبل قائلة: "لا يحس المرء بأي شيء من حوله، ولا يرى شيئاً، ولا الاشعاعات او يلامسها او يشمها".

في ترجمة جديدة لها لـ"اولاد زينكي" وهي تستعيد احداث افغانستان، ومن المتوقع نشرها في منشورات دار "البنغوين" في ايلول عام ٢٠١٦

ومن المتوقع ان تصدر لها عدد من الكتب مستقبلا سفيتلانا تستحق مكانتها الى جوار هارولد بينتر والكثير من الكتاب الكبار.

عن الغارديان